من هنا طار الحمام

قصص قصيرة

حسين محمد شريف

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق

٢٠٠٣م - ٢٠١٧م

الاشراف العام:

اللجنة العليا موسوعة توثيق ارهاب القاعدة وداعش في العراق

مركز بيِّنَة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

(   )

البريد الالكتروني :

www.baina.com

العراق:كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣ م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التصميم والإخراج الفني :

عمار محمد العقابي

عماد محمد البيرماني

من هنا طار الحمام

قصص قصيرة

حسين محمد شريف

المقدمة

الأدب موقف أخلاقي وقضية من قضايا الدفاع عن الحياة والإنسان، وهو تعبير جمالي أيضاً يُفصح عن نفسه بأدوات اللغة والبلاغة والرسم بالكلمات لتمنحه الاستحسان والقبول عند القارئ.

وكلُّ أدب يخلو من موقف أحسبه لن يصمد كثيراً حقاً لأن الموقف كلمة، والأدب موقف وكلمة.

بالنسبة لهذه المجموعة القصصية ((من هنا مرَ الحمام)) فقد كُلفتُ بالعمل على إنجازها بالتعاون مع العتبة الحسينية كمشروع يأخذ على عاتقه تجريم ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام والذي تعرف إختصاراً بـ(داعش) لا سيما بعد سيطرته على ثلاث محافظات تباعاً ولثلاثة أعوام تقريباً وفضحها وتعرية السلوك الذي مارسه التنظيم ضد الجميع بلا استثناء.

كما أنْ هذه المجموعة بَنَتْ قصصها استناداً إلى شهادات أدلى بها الناجون من مذابح داعش وعاشوا بدقة متناهية أحداث بقائهم تحت حكمهم.

ولكن بفارق واحد وهي الاستغراق في الخيال فأحياناً يتم الاعتماد على ثيمة واحدة محددة فقط لأبني عليها القصة كاملة كما حدث مثلاً في قصة حفرة الموت، وليلة الدم، والرياح ستمضي بنا، إلى آخره حيث وردت تلك القصص في الشهادات بنحو مغاير لبناء المسار داخل القصص للخروج بأفضل صورة درامية ممكنة تتطابق واشتراطات كتابة القصة القصيرة، وهو الأسلوب الأعم الذي غلب على المجموعة.

كما أن هناك قصصاً لم تعتمد على الشهادات بل على وقائع سمعتُ بها من ثقاة أو شاهدتُها على وسائل الإعلام مثل قصة (من هنا طار الحمام) التي تؤرخ استشهاد السيدة الفاضلة أشواق النعيمي وقصة عالم بحجم الكف وأخرى.

ومعروف بأن لحظة سقوط الموصل كانت درامية فعلاً عندما توارى عن الأنظار القادة والمقاتلون بطريقة غير متوقعة، وبالنسبة لنا نحن الذين شاهدنا تلك الصورة الفوضوية للمدينة في الإعلام فلم يكن الأمر مفهوماً بالضبط.

فقد كانت الأنباء متضاربة بخصوص ما حدث، ومع الوقت صار واضحاً لنا بأن تآمراً وقع وخيانة قبض ثمنها المتعاونون مع الارهاب الدولي ليصير ما صار.

لقد كانت تلك اللحظة بمثابة الجرح الذي لن يلتئم في ضمائر الشرفاء خصوصاً عندما ترافق دخول التنظيم بتلك الوحشية والتنكيل بالناس قتلاً وتشريداً وسبياً، إنهم أعادوا بربرية الأقوام الغابرة إلى واجهة التأريخ من جديد.

وأنا هنا في هذه المجموعة المعنونة ((من هنا طار الحمام)) أختلفتُ تقنياً عن مجموعتين قصصيتين صدرتا لي حيث كان التجريب مشغلي فيهما خلافاً لهذه

المجموعة التي لا تحتمل تلك الأساليب في الكتابة.

فمن أجل إنجاز تعرية وفضح الممارسات التي يندى لها جبين الإنسانية كان يتعين الوضوح في بنية التسلسل الزمني للحدث فضلاً عن بساطة الحبكة وتمحورها حول ثيمة واحدة محددة المعالم فلا سبيل لتشظي الحدث ثُمَّ لململته لتحقيق غاية القصَّ.

وإنني إذ دخلت هذه التجربة من الكتابة التي تأخذ على عاتقها تدوين الفضائع التي قام بها الإرهابيون فلا أقترح نفسي مؤرخاً لأن ذلك يتنافى مع تخصصي كقاص إلاّ بالقدر الذي بَنيتُ الأحداث على شهادات عاشها الضحايا كما مرّ آنفاً وبتصرف بالروي كما تقتضيه اشتراطات فن كتابة القصة القصيرة مرة أخرى.

إن الأدب التعبوي الذي ينهض بهمم الأمة ويوحدها إزاء الشدائد والمحن التي تمرُّ بها يصب في تأسيس هوية مقاومة للمحور والكثير من الدول مرّتْ بمتليات العدوان والإحتلال وسار مثقفوها على هذا المسار بوصفه الخيار المناسب للتمركز حول الذات وتشكيل الممانعة بوجه الفوضى.

ويؤخذ على أدب الحرب أو الأدب التعبوي الذي صار جزءاً من أجزاء الكتابة الأدبية، بأن الايديولوجيا حاكمة عليه ومتحكمة فيه من أجل التأثير بالآخر، فضلاً عن كونه أي أدب الحرب سلطة (السلطة) ذاتها على الرعية أثناء توظيفه لمصلحة الحاكم والطبقة النافذة، ولذا ثَمَّة ابتعاد من الخوص فيه.

لكنَ الأمر هنا مختلف حيث إن ثمة فارق بين أن يُكتب أدب الحرب أثناء

المعارك وبين أن يُكتب بعد انتهائها.

فالكتابة أثناء الحرب تحمل معها بنية السلطة بما يلائم مقاسها من النصر الذي لم ينجز بعد وحينها ستكون المبالغة وتسخير العاطفة ولغة التمجيد طاغية على النصوص.

خلافاً للكتابة التي تُنجز بعد انتهاء الحرب حيث سيكون واضحاً لطرفيّ القتال من هو الخاسر ومن هو الرابح ولا مجال لتلميع الأوهام فالحقيقة وحدها ستبان فقط كما حدث هنا مع تجربتي وتجارب الزملاء الآخرين ضمن هذا المشروع.

وبالنتيجة النهائية للمجموعة القصصية هذه فإن ما كتبته لن يشكل إلا قدراً يسيراً من الجرائم التي وُثقتْ وربما هناك بشاعات لم يتسن للذين عاشوها تدوينها لأنهم ماتوا أو فقدوا القدرة على البوح لعوق نفسي أو بدني أصابهم.

المؤلف

سماءٌ بيضاء.... قمٌر أحمر

تمنحُ الحياة الدعة والراحة لبعض أفرادها بغير حساب على العكس من البعض الآخر ممّن يصارعونها من أجل البقاء، وكلُّ تلك الفوارق فيها مكتوب بقدر ولغايات لا يُدرك كنهها البشر في حياتهم، ولكنها بالنتيجة النهائية لوجودهم كانت لمصلحتهم حتى وإن قستْ عليهم الدنيا.

الذي يحيا في ظل وضع مستقر وبلا منغصات تُذكر لخمسة عقود من الحياة ثُمَّ تنقلب أوضاعه بطريقة معاكسة لذلك الاستقرار، وعليه أن يتأمل النتائج ويتعلم من الدرس.

ولا يعني أن تعيش حياة بيضاء، أن تُنهيها كذلك بيضاء، وأعني بالبيضاء هنا مقدار الاسترخاء والترف.

كنتُ وما زلتُ أتمتع بسمعة طيبة واسم ورث الوجاهة أباً عن جدّ كشيخ قبلي ولي من العلاقات في عموم البلاد ما لا تُعد ولا تُحصى.

ومن فضل الله عليّ ذللتُ مصاعب وحللتُ عقداً من المشكلات وأوقفت مجازر من الدم وبقى سجل وجاهتي نظيفاً حتى اليوم.

وأنا بمثل تلك السمعة النظيفة ومحط احترام وتقدير المجتمع ليس لدي أيُّ تبرير للوقوف مع الباطل تحت أيِّ مسمّى.

فكان المحك الحقيقي لي كإنسان أولا وكوجيه ثانياً هو لحظة دخول ما يسمى بتنظيم الدولة اللاإسلامية أراضينا بمؤامرة بيّنة كبيان الشمس وإلّا كيف يمكن لثلاثة فرق الانهيار بمواجهة نفر ضال من القتلة والمجرمين.

ومع أن ظروف المحافظة لم تكن مثالية وفيها توتر دائم ولذلك أسباب سياسية دفع ثمنها المواطن البسيط، لكنْ كان بالإمكان تلافي كلَّ الخراب لو استخدم المتنازعون الحكمة لحلحلة مشكلاتهم.

لم يكن سقوط الموصل أمراً اعتيادياً بالنظر لما لحقه من تبعات مؤلمة إذ تشتتْ جمعُ الأسر وملأت الدماء السماء قبل الأرض عبر نزفها المتواصل وعلى مدّ البصر فأينما وليّت وجهك فثَمَة أجساد مرمية على الشوارع وأطراف متشظية هنا وهناك وروائح جثث لم يمضِ على وجودها زمن طويل.

كل ذلك العار لحق بالناس تحت شمس حزيران من عام ٢٠١٤م وسط لا مبالاة أُولي الأمر منَّا.

وفي ظل تلك الفوضى وذلك الموت الرخيص وجدتُ سمائي البيضاء يتوسدها قمر أحمر أرّق مضجعي.

وكان لا بدّ لي من موقف مشرف تجاه ما يحدث من خراب، فلم يكن أمامي إلا قرار المواجهة مع القتلة ومهما كانت الأثمان، وهكذا ناديت قومي للقتال ضد التنظيم الإرهابي والذين لم يقصروا بتلبية النداء.

فبعد أيام من سقوط المدينة جاءني وفد يترأسهم شيشاني لا يُجيد العربية جيداً يطالبني بالبيعة لدولة الخرافة خاصتهم فقمت بطرده وإهانته، فخرج الشيشاني مطأطئ الرأس ناقماً عليّ بحقد دفين، ولأن الإرهابيين يعرفون مكانتي لم يتعجلوا في التصادم معي، فأرسلوا وفداً آخر ولكن يترأسهم قاتل من أبناء قبيلتي هذه المرة ومع أن المؤيدين لهم من قبيلتي قلة جداً بحيث لا يتجاوزون الواحد بالمئة ولكنهم أرادوا إخضاعي بتلك الصورة ظناً منهم بأنني سأستجيب.

لم أطل الكلام مع هذا الخائن فسرعان ما بصقتُ بوجهه مُعنفاً له على فعلته الجبانة حين التحق بالقتلة فما كان له إلّا أن توعدني بالقتل عاجلاً أم آجلاً وخرج برفقة الوفد مضطرباً.

لم يمضِ من ذلك النهار إلا وقت يسير حتى جاءتنا أرتال من الإرهابيين لتبدأ المواجهة بين الطرفين وبلغت الحناجر سيلاً من الصراخ يصعب إيقافه.

فقد تداخل كلُّ شيء أصوات الإطلاقات وصراخ الأطفال وأصوات الرجال وبكاء النساء ودعاء الأمهات وتحريض الشيوخ فالمواجهة كانت درامية جداً، مات من الطرفين عدد كبير لا سيما من الإرهابيين، فضلاً عن الجرحى وتمكّنا من أسر بضعة أفراد من التنظيم وشعرنا بالانتصار.

ولكنّ هذا الشعور لم يستمر فسرعان ما عاجلونا بأرتال أكبر من الأولى وحوصرنا من كل حدب وصوب، فصرنا إلى خطط سريعة محكمة وواجهنا نقصاً واضحاً بالسلاح فكان علينا الدقة في التصويب لاستثمار الوقت وإطالة زخم المعركة لحين وصول المساعدة من بعض الأصدقاء الذين اتصلت بهم.

ومع مرور الوقت بدأ كلُّ شي يسير نحو النهاية الواضحة بتراجعنا فقد اعتذر الذين اتصلت بهم عن تقديم العون والمساعدة بحجج كثيرة منها الخوف وعدم القدرة على التحرك وعدم وجود سلاح كافٍ ومنهم وللأسف بحجة مبايعة الخليفة ولا يجوز نكث البيعة.

فصرت أمام خيارين فقط لا ثالث بينهما فإما أن أبايع القتلة وأشهد على ولايتهم عليّ وعلى من أُمثلهم وأما أن أموت. فآثرت الخيار الثاني فالموت أهون عليّ من عار البيعة الباطلة.

ولكن وتحت الضغط الكبير الذي تعرضتُ له من قبل قومي اضطررت إلى الخروج بحثاً عن منفذ من أجل الإتيان بالمساعدة والمدد.

وأثناء ذلك أصرّت أميَّ على المجيء معي فضلاً عن أخي الأصغر فقد كانت العائلة ولحُسن الحظ كلها خارج المكان في رحلة اصطياف.

وهكذا صار الاتفاق على الخروج وأعطيت عهدة قيادة القوم إلى أحد أبناء العمومة الذين أثق بمبادئه وخرجت بسيارتين رباعيتيّ الدفع واحدة فيها أمَّي وأخي وثلاثة أفراد مسلحين والأخرى فيها أنا وبمعيتي أيضاً ثلاثة مسلحين.

استطعنا تضليل العدو وخرجنا بمساعدة قدرة ومرونة السائقين الذين خبرا قضايا الحرب سابقاً.

ولكنّ القدر قرر سطوته علينا، ففي الوقت الذي نفذتُ من القتلة تأخّر أخي عن ذلك بسبب عطل ميكانيكي مفاجئ ليُقتل مع أمَّي ورفاقه الثلاثة بعد مقاومة

مشرفة وعند محاولتي العودة اليهم لم أفلح بإنقاذهم بسب وابل الرصاص الذي أشبعونا به وقد اخترقت يدي رصاصتان كما اخترقت بطني أربع منها الأمر الذي دفع برفاق الرحلة إلى الخروج من المواجهة لإنقاذي.

وبعد الشفاء من جروحي التي ما تزال آثارها قائمة في جسدي بقيت أتردد على زملاء الوجاهة في أماكن تواجدهم خارج الموصل فلم ألقَ منهم الدعم والعون بل التهرب والعجز.

فوجدت ضالتي أخيراً في فتوى الجهاد الكفائي حين حلّقت بأبناء الوطن نحونا ليجيء المدد من أماكن لم توضع بالحسبان. وهكذا صرنا الى التلاحم والقوة بدلاً من الفرقة والضعف وتَمَّ تحرير مدننا وقرانا وانتصر الحق وبان ولكن بقى القمر أحمر في السماء البيضاء تذكيرا بدماء الأبرياء.

شارع الجثث

ربما كنت سيء الحظ عند بعضٍ من زملاء مهنة المتاعب، ولكن عند نفسي أنا حسِن الحظ، فليس سهلاً أن تحظى بترشيح رئيس تحرير جريدة الأيام إلى مهمة مثل تلك التي كلفني بها بعد تقاعس اثنين من الزملاء قبلي، ومعروف عن رئيس التحرير قسوته المهنية تجاه الجميع من أجل الحياد والموضوعية.

وكنت قد التحقتُ بالعمل عنده كمحرر بعد إنهاء عقد عملي في جريدة البيان، كان عليّ أن أشد الرحال إلى مدينة الموصل في العاشر من تشرين الأول أي بعد شهرين بالتمام والكمال على إعلان تحريرها رسمياً.

وبالفعل حزمتُ حقائبي بحماسة كبرى وسط قلق عائلتي من السفر إلى مكان لم يزل غير مستقر بعد.

لكنها في نهاية المطاف مهنة الصحافة التي تستدعي اقتحام المخاطر من أجل الحقيقة.

ذهبتُ بمعية سرية من الحشد الشعبي بعد تنسيق إدارة الجريدة معهم لضمان

سلامة وصولي معهم. وكانت السرية تروم مبادلة موقع سرية أخرى في الساحل الأيسر كروتين متعلق بإعادة الإنتشار.

كان آمر السرية العقيد عبد الجبار ناصر يشدُّ من عزيمة جنوده بكلمات تحضُّ على المثابرة والعمل الدؤوب.

وصلنا في حدود التاسعة مساءً، وهو وقت متأخرٌ جداً فيما لو كانت الطرق آمنة وسالكة، فقد تعرضنا إلى بعض المتاعب من قبل جيوب فلول داعش المنهزمين هنا وهناك.

وكان أخطر أنواع التعرض قريباً من حمام العليل لا سيما بعد أن حفر الدواعش الشارع العام بطريقة ماكرة حيث عمدوا إلى الاستعانة بحفّارٍ لإحداث قطوعات بمسافات موحدة وبعمق مترين وعرض مترين بغية إعاقة تقدم عمليات التحرير.

وعند صباح اليوم التالي المصادف الحادي عشر من تشرين الأول تَمَّ استبدال سرية بسرية طبقاً لقواعد العمل العسكري المحكم.

وكان هناك رجلٌ وقورٌ جاء يستقبل العقيد عبد الجبار ناصر وهو عميد في الشرطة واسمه رشيد فتّاح عزيز ويبدو إن الرجلين يعرفان بعضهما قبل هذا الوقت.

عرّفني العقيد بالعميد وجلسنا نتناول الفطور المتواضع، وبمجرد البدء به تناهى إلى أسماعنا رشقات الرصاص وثَمَّة تداخل لإنفجارات متتالية.

ولا أنكر خوفي في تلك اللحظة الذي بدا واضحاً على ملامحي فيما كان الضابطان مسترخيين.

- هل هذه أول مرة تعيش هكذا أجواء؟

- سألني السيد العميد

- نعم سيادتك.

- عليك الاعتياد على ذلك يا ولدي فالحرب لا تحتمل المزاح.

قالها العميد وأخرج سيجارة وبدأ يدخن.

- يشاطرني صديقي العقيد عبد الجبار بأن الحرب لعبة بين اثنين ولا بدّ من خاسر ومنتصر في نهايتها، ولا توجد حرب في التأريخ خرج طرفاها بالتعادل.

- كلام سليم جداً.

أجابه السيد العقيد ثُمَّ واصل العميد كلامه.

- عرفتُ من السيد العقيد بأنك صحفي وجئت مأموراً للتقصي عن حقيقة ما جرى وهذا أمر جيد يا ولدي.

- دعني أشكر حُسنَ ظنَّك بي كما أشكر أدبك المسوؤل أولاً، ودعني أطمع فيك أن تحدثني عمّا جرى هنا باعتبارك كنت موجوداً في لحظة الإنهيار.

- إسمع إذن:

لم تسقط المدينة بيد الأوغاد في ٢٠١٤ بل هي متداعية أمنياً قبل هذا التأريخ بعشرة أعوام. أنا كنت ضابطاً في مركز شرطة الكرامة وكُنَّا لا نقول الحقيقة كاملة للدولة بخصوص الخروقات بسبب خيانة بعض الجنرالات ممَّن باع نفسه للخارج

وهكذا خسرنا الوطن والمواطن ولولا فتوى الجهاد لَمَا كُناَّ هنا الآن.

أنا بمفردي أعطيتُ ثمانية وستين شهيداً وسبعة وخميس جريحاً في الساحل الأيسر دون أن أحقق نصراً، لأنني أنا وجنودي لم نكن بمواجهة معركة نظامية واضحة الحدود، مضافاً إلى ذلك فإن عدونا منظمة إرهابية جاءت من أجل تخريب الحضارة، ورأس الحضارة هو العراق، وهم مدعومون من قبل قوات أميركية وإسرائيلية وتركية وأخرى، ومتنكرون بلباس الدين والتقوى وهم لا يمتون للدين بأية صلة.

- إلامَ تعزو أسباب سقوط الموصل؟

- إلى انهيار الجيش بالدرجة الأساس والشرطة، وإلى الناس حين انقلبوا، هل تعرف أن أغلب الضباط والشرطة تركوا أسلحتهم خلفهم وارتدوا الملابس المدنية وذهبوا الى بيوتهم. أنا فقط من بقيت أقاوم مع ثلاثة آخرين، وعند شعوري بالعجز قررت الانسحاب إلى بيتي الكائن في قرية زنكة وهي القرية الوحيدة التي لم تسقط لأنها كانت موحدة خلف إرادة رفض الدواعش.

- مؤلم حقاً ذلك.

- لقد انهارتْ أنفسنا بسبب الخذلان والخيانة حتّى أصدقنا التحقوا بداعش في البدء وانساقوا خلف كلامهم الناعم ولكن سرعان ما شعروا بالندم لا سيما بعد أن اغتصبوا نساءهم ونهبوا أموالهم وقتلوهم.

- يا الله ما هذا الخراب الذي حدث؟

- لو حدثتك يا ولدي عن شارع الجثث ربما ستموت كمداً

- وما شارع الجثث؟

- أنا أسميه بهذا الاسم فقد اُرتكبت فيه أبشع الجرائم حين علّق الدواعش مائة وثلاثة وثلاثين جثة على الأعمدة بوحشية لا نظير لها فقط لأنهم رفضوهم، وليس غريباً لحظتها إذا علِمت بأن بعض الناس وشوا بأقربائهم أو أصدقائهم أو جيرانهم من أجل التقرب زلفى للقتلة، وحرّي بك كصحفي أن تؤكد ذلك للناس وتوثق المأساة.

إن قتل هذا الكم من البشر لا يستطع أن يقوم به إلاّ مجموعة من المتعاونين معهم وهذا يؤكد طبيعة الترحيب الذي وجده الدواعش بين الناس وقتها،تخيّل أنا كنت متنكراً وأراقب المشهد وبحكم خبراتي الأمنية تمكنت من التقاط بعض الصور عبر هاتفي الذي كان معي دون أن يعلموا ومازلت أحتفظ بتلك الصور.

- هل أستطيع الحصول عليها لأرفقها مع تحقيقي؟

- نعم، سأعطيك الصور ولا بد من أن تكون أميناً وتنشرها رغم قسوتها. لفضح القتلة والمجرمين.

- سأفعل ذلك بكل تأكيد.

سادت لحظة صمت بيننا بعد هذا الكلام كما انقطعت الرشقات، وشعرت برعب مما رواه السيد العميد وقلت في سري: يبدو أن مشاقاً أخرى تنتظرني ربما أسوأ من شارع الجثث الذي سأرفع أول تغطياتي عنه إلى الجريدة.

بعدها تابع السيد العميد موجهاً كلامه إلى رفيق سلاحه العقيد عبد الجبار ناصر:

- صديقي عبد الجبار إن الكلمات لن تفي حقكم فلولاكم لم نكن هنا الآن حقاً ونحن نشعر بالفخر لوجود أبطال أمثالكم أعادوا المركب إلى مسيرته عبر شراع ((المرجعية وفتواها بالدفاع عن الأرض والعرض)).

- لم نفعل إلا الواجب الشرعي والوطني المناط بنا فعله إستجابة لنداء الوطن.

إختتم السيد العقيد الكلام وتصافح معه السيد العميد وخرج دون أن ينسى وعده بإرسال الصور التي التقاطها أثناء توثيق جريمة شارع الجثث.

قمران في سماء تلعفر (*)

إضطر الركاب المغادرون من محطة العلاوي في القطار الليلي المتوجه للبصرة إلى التوقف في محطة الحلة الصغيرة إضطرارا بسبب عطل فني أصاب القطار يستدعي التدخل الميكانيكي.

وكان الوقت هو شتاء عام ٢٠١٧ قبل إعلان النصر النهائي على دولة الخرافة السوداء بأيام حين امتلأت إحدى عربات الدرجة الثانية بهواء فاسد نتيجة تدخين أحد الأفراد بطريقة كثيفة، الأمر الذي أزعج الركاب ولكن دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة لقراءتهم معاني الرجل المدخن وإحساسهم به ككائن مفجوع كما كان يتضح من ملامحه القاسية والبائسة ووجه المليء بالكثير من التجاعيد. إنضم إلى المكان شاب في مقتبل العمر يرتدي الملابس الخاكية ويبدو عليه في إجازة إلى أهله بعد حرب ضروس وكان ذلك واضحاً من بعض الأتربة العالقة بملابسه، أتربة الحرب والموت والإيمان بالوطن.

- هل أنت بخيريا عزيزي؟

(*) تناص مع قصة الحرب للقاص الايطالي لويجي بيراندللو

سألته امرأة تجلس قريباً من باب العربة بعد أن قرأت في ملامح الشاب بعضاً من أرق الليلة الماضية.

- نعم أنا بخير، شكراً لسؤالك.

أجابها بأدب المقاتل الشجاع ومضى يسرح في ذاكرته المرة وهو يستعيد صديقه أحمد وكيف صار أسطورة في الإيثار في عصر قلّ فيه مثل هكذا رجال بالرغم من وجود الآلاف مثل أحمد شجاعة وبأساً وحباً لله وللوطن إلّا أن أحمد زاد على تلك الخصال أكثر حين أقدم على التبرع بكليتيه من أجل شراء العتاد للفوج الرابض في تلعفر ليستحق بجدارة لقب قمر تلعفر باعتباره يريد إعادة الضوء إليها.

تمَّ اصلاح الخلل في القطار ليواصل سيره في ليل العراق الحزين متوجهاً إلى البصرة وسط تدخين ذلك الرجل الكثيف.

- عفواً أيها العمُّ لماذا تُسرف هكذا في التدخين؟

سأل الشاب الرجل المدخن

- من أجل ولدي أيّها الشاب وأنت تذكرني به هو أيضا يقاتل الآن في مكان ما من هذه الأرض الطيبة وأشعر بالقلق عليه وهي حالة لم أشعر بمثلها من قبل وأخشى ألاّ يكون في ضيق.

أجابه الرجل.

- لا تقلق يا عم هو الآن بخير وإن كان قد تعرض لسوء لا سامح الله فأصدقاؤه لن يتخلوا عنه أبداً، نحن في القتال إخوة كما في العائلة، أحدنا

يكمل الآخر.

قالها الشاب وإلتفت نحو المرأة ليضيف

- هكذا الحال عندنا يا أمي كلنا إخوة، بل نتدافع من أجل خدمة بعضنا.

قال ذلك الشاب وشعر بأهمية توضيح الأمر لبقية المسافرين، لأن الحرب أخذت المزيد من الشباب. وقد تفاجأ من أحد الرجال يتكلم مع زوجته قائلاً:

- عليك أن تشكري الله، لأن ابنك لن يذهب للجبهة.

نظر إليه الرجل المدخن باحتقار وقال:

- أنا عندي ولد وحيد وذهب متطوعاً تلبية لفتوى الجهاد وأفخر به كونه صار رجلاً يعرف مسؤولية الدفاع عن الوطن، لما لا تفرح بأبنائك حين يذهبون إلى القتال ضد عدوٍّ قذر؟

طأطأ الرجل الذي تكلم مع زوجته رأسه خافياً وجهه من الناس

- صديقي أحمد قناص فوج تلعفر كان قد تعرض إلى انفجار لغم أرضي أودى بساقيه فضلاً عن إصابة بالغة في الحبل الشوكي قبل أسبوع من اليوم ومع كلَّ الجهود الحثيثة لإنقاذه لم تنجح المفرزة الطبية في ذلك، بل تعقّد أمره وتبين أنّه معرَّض للموت والأمر الذي لم يستطع أن يُطيقه، فقرر قبل أن يموت التبرع بكليتيه لشخصين، وقبلها حاول الشخصان أن يفاوضاه على المبلغ، لكن أحمد رفض ذلك رفضاً قاطعاً لأنه يريد بذلك إنقاذ حياة إنسانين ولا يريد التربح فقرر الرجلان أن يشتريان بالمبالغ

الخاصة بالكليتين سلاحاً وعتاداً لفوجه دعماً له بعد أن أدركا بأن الفوج يعاني من النقص منهما وكانا قد أخذا موافقة الشهيد أحمد على ذلك قبل دخوله العملية للتبرع لرفضه أن يعيش ما تبقى من العمر عاجزاً لئلا يرهق كاهل الآخرين بخدمته.

وبمجرد أن قال ذلك الشاب تفاجأ من رد فعل الرجل المدخن حين صفق بيديه قائلاً:

- إنا لله وإنا اليه راجعون... الرحمة لروحك يا ولدي أحمد... الرحمة لروحك يا ولدي قناص فوج تلعفر... الرحمة لروحك أيُّها الحُر.

قالها وغط في بكاء طويل وسط دهشة الشاب الذي كان في مأمورية لتسليم جثمان الشهيد أحمد لذويه.

في يوم وفاة القناص أحمد إرتفع قمر جديد فصار في سماء تلعفر قمران اثنان يومها تكريماً لموقفه وقد شهد الناس على هذا الحدث.

عِمامةُ الخارجي

((سوف يأتي زمان على أمتي تكثر فيها الفتن فامسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكي على خطيئتك)) من أخبار النبي محمدﷺ في الفتن أن تلبس العمامة فتلك مسؤولية كبرى سيما حينما يتعلق الأمر بإفتاء الناس، وأن تلبسها في ظلَ زمان الفتنة فتلك نعمة يُمحّصَ فيها المؤمنون. ولعل في الشيخ عبد الله أسوة حسنة كونه من القلائل ممن صمد بوجه التكفيريين رغم كلَّ المآسي التي مرّ بها.

في الحقيقة نحن نُعد سلفيين معتدلين ومن دعاة فهم الكتاب والسنة إستناداً إلى فهم سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

لكنّ ثَمَّة تحولات من غير ثوابتنا طرأت على منهجنا وأحالته إلى نهج متطرف ليتطور بدوره إلى نهج تكفيري ولا يقول إلا بصحة نفسه، وتلك المشكلة كانت لها تداعياتها على الأمَّة وعلينا حتَّى دفعنا ثمنها باهضاً.

أنا والشيخ عبد الله من السلفيين المعتدلين ولنا علاقات وطيدة بإخوتنا من الصوفية والشيعة وتعايشنا متحابين معهم دون خلاف أو اختلاف، وإن تحدث اختلافات بسيطة في بعض القضايا فهي لم تفسد في الودَّ قضية بيننا.

وهذا ما نؤمن به ونعمل على ضوئه ونربي الناس وفقاً له، لكنْ بفارق واحد بيني وبين الشيخ عبد الله وهو أنه أكثر جرأة وتصدي مني.

بدأت محنة الشيخ عبد الله مع تنظيم القاعدة الإرهابي في وقت مبكر حيث تصادم معهم فكرياً وكان يحرض الناس في مسجده ضدهم ويدفع بهم إلى رفضهم، الأمر الذي جعله عرضة لسخطهم وقد حاولوا اغتياله عدة مرات ولكنّ الله كان له أمر آخر حينما نجّاه مراراً من الموت.

حتى جاء قدره في هذه المرة عندما أصابت إطلاقة ظهره وأقعدته عن الحركة حين أصابته بالشلل، ومنذ ذلك الوقت وهو مقعد في بيته، وقد أشيع بين التكفيريين عنه لقب الخارجي إزدراءً منه، والخارجي في عرف التكفيريين مَنْ خرج عليهم وعلى نهجهم وهو بحكم المرتد بحيث يتعين قيام حدّ الردة عليه وتلك بدعة ابتدعوها من خيالات أمراضهم النفسية والعقلية.

وعلى الرغم من كون الشيخ عبد الله كان مقعداً إلا أنه لم ينزع العمامة من رأسه لأنها شرف ما بعدها ولا قبلها من شرف للمرء بالنسبة لنا، وظلَّ يستقبل الأخوة المؤمنين في داره العامرة بالإيمان والتقوى والورع، وعند هذا الوقت أضيفت إلى تسمية الخارجي تسمية المُقعد سخرية منه.

غير أن المحك الحقيقي المتعلق بالتمحيص الذي مرّ ذكره قبلاً كان مع تلك النقطة السوداء في تأريخنا عندما دخل تنظيم أكثر تطرفاً من القاعدة أراضينا يدعى داعش فهؤلاء أهلكوا الحرث والنسل وأوغلوا قتلاً وتشريداً في الناس ولم ينجُ منهم شيخ ولا امرأة ولا رجل ولا طفل ولا مسلم ولا مسيحي ولا عربي ولا أعجمي فالكلُّ كانوا في دائرة التكفير فإما أن تكون معهم أو أنت ضدهم.

لقد عشنا في مرارة وخوف كبيرين وأغلبنا تخلى عن عمامته خوفاً وجلس في بيته مترقباً نتائج الأيام وربما هو موقف لا يليق بحجم مسؤوليتنا لكننا آمنّا بالتقية لأن الله قدّر وشاء، إلّا فضيلة الشيخ عبد الله الذي بقى صامداً بوجه التكفيريين بل وبدأ يتصرف بطريقة فاجأت الجميع.

لقد بدأ الشيخ يخرج من بيته على عربته المدولبة برفقة أحد أبنائه متجولاً في المدينة بعمامته متحدياً الدواعش ولأنه صاحب ثقل كبير وسمعة طيبة في عموم المدينة ولأن الدواعش ليسوا بالأغبياء فأنهم تحاشوا الاحتكاك به خوفاً من تبعات ردود الأفعال المحتملة جرّاء ذلك، ولكن شنّوا عليه حملة تسقيط وتشهير واضحين في كل مكان فكانوا ينعتونه بالخارجي أسوة بما نعته التنظيم السابق لهم القاعدة ولكنهم استهدفوا عمامته الطاهرة ليسوقوا لقب عمامة الخارجي عليها ومع كل الترويج لتلك السخرية إلّا أن المسألة بقت منحصرة بينهم فقط.

ولم يكتفِ الشيخ عبد الله بنزوله اليومي إلى المدينة والتجوّل فيها بل تعدى هذا الفعل إلى التحريض ضد داعش ومطالبة الأهالي بمقاومتهم دفاعاً عن دينهم وشرفهم لكنّ الناس كانوا نياماً حتَّى اذا استفاقوا ماتوا.

وكان الخوف سمة الحياة عندنا فقد بلغ إجرام الدواعش مبلغاً يصعب تصوره من قبل الآخرين الذين ينعتوننا بالجبن والتخاذل لأن الحقيقة مرة أكثر من الحنظل.

ومع ذلك فكانت هناك جيوب تقاوم داعش بدعم من بعض المشايخ لكنّها كانت غير فاعلة جداً ولم يكتمل النصر الناجز إلّا مع الفتوى الشريفة التي كتبت بماء الغيرة العراقية وأعلنت من مقام سيدنا أسد الله الغالب وتحقق اندحار الباطل إن الباطل كان زهوقاً وانتصرت عمامة الخارجي على عمامة البغدادي وأعوانه.

للطفل حشدٌ يحميه

نحن الآن على عتبة مرور عام على عمليات التحرير ونجلس على بقايا تراب كان وقتها ساتراً فاصلاً بيننا وبين العدو في الساحل الأيمن. أجلس مع السيد أبي حيدر الذي كان يراقب الأفق بمنظاره العسكري كإجراء روتيني. وكان الوقت بعد صلاة المغرب. أخرج أبو حيدر سيجارة وأشعلها، ترافق ذلك مع حسرة أطلقها بحرقة بالغة وحين سألته عن حسرته بدأ يروي:

بالنسبة لمقاتل مثلي وجد نفسه بالمواجهة وجهاً لوجه مع عدوٍّ لا يعرف الرحمة ولا الشفقة فضلاً عن كونه يكفّر الجميع فليس ثَمّة مناص من قتله وتطهير الحياة من رجسه. وأن كثيراً من الحوادث الإجرامية التي ارتكبها ذلك العدو القذر يندى لها جبين الإنسانية لشدة قسوتها، ولكن لا توجد أكثر من قسوة نهاية تلك الأم مع وليدها التي تذكرتها الآن لأنه يصادف العام الأول لمرورها:

- ما فحوى القصة؟ هل بالإمكان إعادتها؟

سألت رفيق السلاح، الذي أجاب مع حسرة أكبر من الأولى:

- تذكرت تلك الأم يوم شاهدتها تركض نحونا العام الفائت تماماً مثل هكذا

أجواء حين كان هنا ساتراً فاصلاً بيننا وبين العدو والذي صار اليوم بقايا تراب لانتهاء مهمته كما ترى، ظننت بأنها على الأرجح انتحارية وتريد تنفيذ مهمتها بقتلنا وما ذلك الطفل إلّا وسيلة تضليل، ففي هكذا مواقف ترتبط بالحرب يكون المقاتل دائماً في الاحتمالات السلبية للأشياء.

تصرفتُ بطريقة فردية لانشغال آمر الفصيل بقضايا دفاعية فضلاً عن اتصالاته التي لم تتوقف طيلة عمليات التحرير وألقمتُ سلاحي الكلاشنكوف وكنتُ مستعداً لقتل تلك السيدة فوراً ولكن بحكم إيماننا بعدالة قضيتنا ووجودنا المقترن بفتوى الجهاد باعتبارها الغطاء الأخلاقي لمعركتنا قررتُ الانتظار قليلاً قبل مبادرة إطلاق الرصاص عليها، فقط من باب إلقاء الحجة على نفسي. ووسط حالة الفوضى تلك وتداخل الأصوات والغبار والشظايا كان يصعب سماع أي جملة بوضوح ومع ذلك حين اقتربت تلك السيدة مني على مسافة حرجة صرختُ بأعلى ما أستطيع من قوة:

- قفي عندك ولا تتحركي

صرختُ موجهاً بندقيتي إليها وأكملت:

- ضعي الطفل أرضاً وارفعي يديك حيث أراهما.

إستجابت المرأة لصراخي وقد بان على وجهها نهران من الدموع إلتقيا أسفل حنكها وقد تذكرت جريان دجلة والفرات ومقدار التدفق الأزلي لهما من الألم التأريخي الذي رافقهما منذ بدء الخليقة.

- من أنتِ؟

- هاربة من جحيم داعش بعد أن قتلوا زوجي.

تكلمت بصوت واهن وبدا الشحوب واضحاً على وجهها

- لماذا قتلوه؟

- لأنه تعاون مع القوات الأمنية وأرسل إليهم إحداثيات تواجدهم.

شعرتُ بالتردد من قتلها وقلتُ في نفسي ربما هي صادقة لا سيما بعد تزايد صراخ وليدها وبعد التأمل فيها بسرعة عابرة تبين أنها شعثاء غبراء بملابس رثَّة ولا شيء معها عدا الطفل وبحكم الحدس الذي تمرنت عليه في القتال صرتُ إلى الإطمئنان وقلتُ لها:

- إرفعي الطفل واقتربي بحذر.

لكنني ما زلت موجهاً بندقيتي صوبها، وفي هذه الأثناء خفّ توتر القتال إذ لاذ الجرذان بالفرار مخلفين العشرات بين قتيل وجريح وأسير وفشلت مهمتهم باقتحام مواقعنا الحصينة. وصرنا إلى هدوء نسبي وتفرّغ السيد آمر الفصيل ليتابع أوضاع مقاتليه. وبعد الإطمئنان من عدم وجود خسائر بيننا إلاّ من جروح طفيفة أصابت بعض المقاتلين إلتفتَ إلى تلك المرأة والتي بمجرد وصولها إلينا حتَّى سقطت في بكاء عالٍ أشعرنا بالحزن معها.

سألها آمر الفصيل:

- ألم تشعري بالخوف على نفسك وطفلك حين لجأت إلينا؟

فقالت بصوت صادح

- للطفل حشد يحميه.

قالت ذلك الكلام وماتت على الفور جراء شظية أصابتها من جهة القلب حيث كانت تنزف بغزارة ولم نستطع إنقاذها، قالت ذلك وأشارت إلى قماط الطفل في إشارة منها بوجود شيء.

وأثناء البحث وجدنا ورقة مكتوبة بخط سريع افتقد الى التنسيق وفيها اسم الطفل الكامل وعنوان ذويه، أخذنا الطفل وأرسلناه إلى جهة آمنة.

وبعد إنجاز مهمة التحرير واندحار الدواعش توصلنا إلى ذويه وأعدنا الطفل إليهم. لقد كانت تلك المرأة من الضحايا الأبرياء حين روى لنا شقيقها من المآسي ما لا يحتمله جبل عن كيفية قتل الدواعش لزوجها أمام أنظارها لأنه تعاون مع القوات الأمنية والحشد الشعبي عبر إرساله إحداثيات تواجدهم، وقد وشى به أخوه الأكبر لينال غدره منهم لاحقاً.

فقد حرقوه أمام الملأ ليكون عبرة لهم ولم يكفوا بذلك بل تعاملوا مع زوجته باعتبارها جارية لهم كونها زوجة رجل خرج من الملة وارتد عن بيعته للخليفة لتصبح عبدة مطيعة وهي بالكاد ولدت قبل شهر وليدها، بقت على أو هذه الحال لإسبوعين قبل هروبها منهم ولأن العمليات بدأت تشتد ووصلت إلى أماكن قريبة منهم قررت المجيء إلينا طلباً للنجاة.

عند هذا القدر من الحديث توقف السيد أبو حيدر عن الكلام بعد تلقيه نداء من جهاز المناداة يشير إلى الاستعداد للتفتيش من قبل آمر الفصيل. فيما بقيت أتأمل المكان وكيف كانت ساحة معركة دامية في واحدة من أكثر المعارك تراجيدية في التأريخ الحديث.

عُش الدبابير

استفاقت أختي الكبرى زينب قبل أذان الفجر كعادتها للتهيؤ للصلاة بفارق اختلاف ملامحها التي لم تكن مألوفة عندنا، فنحن عائلة متدينة بكافة أفرادها ونواظب على ممارسة العبادات في أوقاتها، عند التوقف على حالة أختي الأرملة ومشاهدة قسمات وجهها بتلك الصورة فالأمر يستلزم الإيضاح، على أقل تقدير، في البدء توقعت أنها استفاقت على وقع كابوس مزعج لكنني توهمت في هذا الاحتمال فسرعان ما قالت أختي:

- إنه يوم عبوس وثَمَّة زلزال قادم قريباً وعلى الله وحده الإتكال وطلب العون.
- ما الذي يجري يا زينب؟

سألها أبي بشيء من القلق.

- رأيت عُش الدبابير قادماً من غرب المدينة وقد اجتاح كل الحصاد، وأحال الحياة إلى سواد قاتم. وثَمَّةَ وثن عملاق كان يقف متوسداً قبة الجامع وينث من فمه ريحاً سوداء ونتنة أغرقت المدينة بالفوضى.

- ألم تغادري يا ابنتي الأحلام؟

قالها والدي بشيء من التذمر

- سترك يا رب

قالتها أمي بخوف كبير لأنها تثق برؤى أختي.

- هلمّوا إلى الصلاة ودعوا الأمر لله وحده.

قال أبي وأغلق الكلام عند تلك النقطة إن محنة عائلتي طويلة ولم تنته إلى الآن فأخي الأكبر أُعدم في الثمانينيات بدعوى التحريض على قلب النظام وتبعه أخي الثاني في التسعينيات بتهمة الاشتراك في الانتفاضة الشعبانية أو بلغة السلطة صفحة الغدر والخيانة وأخي الثالث لم يسلم من الموت لكن بدعوى إتجاره بالدولار أما بالنسبة لأخواتي الثلاث فالكبرى زينب لم يمضِ على زوجها شهران حتّى أُعتقل بتهمة توزيع منشورات ضد السلطة وأختي الثانية فاطمة هربت مع زوجها بقضية اختلاس من دائرته زوراً وهي تعيش الآن في استراليا ولعلها الوحيدة أفضل منّ وأختي رقية تقطن معنا وهي عزباء وأنا بقيت مع والديّ وأختيّ حارساً لهم من شرَّ الزمان. وأحيانا تقول أمّي بأن الله أبعد عنك السوء من أجلنا ولولاك لا نعرف ما الذي حلّ بنا، رغم أنني لم أسلم بدوري من المضايقات طيلة سنوات حكم الطاغية.

تمتدُّ جذور عائلتي إلى السادة الأشراف الحسنية وهي تقطن المدينة القديمة في الموصل أبا عن جد عن جد عن عاشر جد. إن انتماءنا الطائفي لم يشكل عقدة كبيرة عند السكان جداً إلّا بعد عام ٢٠٠٣م حيث بدأت العقدة تكبر وتكبر كلما مرّ الوقت وتباعدت السنوات.

لقد فوجئنا بسيارة مفخخة توضع أمام بيت عمي السيد يونس الحسني عام٢٠٠٤ ممّا أودت بحياة أولاده الثلاثة محمد وصادق وباقر ولم يمضِ الوقت طويلاً حتى طُرِقَ ذات يوم باب منزله ليفتح الباب حفيده مصطفى ويجد رجلاً يسأل عن عمي وبمجرد خروج عمي إليه أرداه قتيلاً.

وتوالت جرائم القتل في العائلة دون أن نعي بالضبط إلى أن دوافعها طائفية خالصة إلا في وقت متأخر حين استفقنا ذات يوم ووجدنا رسالة مرمية أسفل باب البيت مكتوب فيها بخط رديء تهديداً مروعاً يتضمن قتلنا في حال عدم مغادرتنا المدينة.

إننا عائلة مسالمة ونعمل في أعمال الحدادة كمهنة توارثناها مثلما توارثنا المكان ولم نعتدِ يوماً على أحد ما، ولم نسرق أحداً في عملنا، بل على العكس يشهد لنا القاصي والداني بالإخلاص والأمانة.

وصل بنا المطاف إلى عشرة أعوام بعد التهديدات التي لم تزعزع بقاءنا فقد تركنا الأمر لله، مع شعورنا الدائم بالقلق من أي احتمال غادر للقتل. لكن رؤيا أختي اليوم جعلت أبي يفكر جدياً بالخروج من المدينة فربما عُش الدبابير على الأبواب لا سيما ثَمَّة جوٌّ ضبابي بدأ يغطي المدينة منذ وقت.

- ربما علينا التفكير جدياً بالخروج من هنا.

قالت ذلك أمي لنا على الغداء.

- هل وصلنا تهديد جديد؟

سألها أبي.

- رؤيا زينب وحدها تكفي للإنذار فأنا أثق بما تقول

شكرتها أختي زينب على استحياء وهي مطأطئة الرأس خجلاً.

عند مساء ذلك اليوم الذي وافق الخامس من حزيران من عام ٢٠١٤م فوجئنا بإعلان حظر للتجوال كإجراء أمني احترازي. ذلك الأمر عزز قناعة أمي بضرورة الخروج من المدينة. اتصلت بأعمامي وطلبت منهم الاستعداد للهروب لأن عُش الدبابير على وشك الانقضاض علينا، لم يأخذ أعمامي ولا أبناؤهم كلامها على محمل الجدُّ رغم إلحاحها عليهم حتّى اليوم الثاني الذي دخلت فيه داعش بعض أحياء المحافظة التي صارت إلى هرج ومرج، حينها لم يكن من مناص سوى الخروج سريعاً. عاودت أمي الاتصال بأعمامي الذين تراخوا عمّا قالته لهم ليلة أمس فاتفقوا على البقاء بما فيهم أبي، وقال عمي الأصغر:

- الإنسان مجبول على الخوف دائماً وهو يهرب من قدره ليحيا ظناً منه بأنه لا يموت.

قررنا أنا وأمي وأختي الهروب قبل فوات الأوان وقد ألحَّت أمي على أبي كثيراً لكنه رفض الانصياع لرؤيا زينب، استطعنا الخروج مستثمرين الوقت ووصلنا إلى تخوم أربيل ومنها غادرنا إلى النجف حيث أخوالي بعد أن أخذنا كل ما يسهل حمله وغلى ثمنه، على أمل أن يلتحق بنا أبي.

لكن القدر لم يسعفه فقد تعثرت الخطط التي وضعها أبي وإخوته للهروب بعد اشتداد ضراوة الوضع في المدينة. وبمجرد مرور أربعة أيام على هروبنا حتى أتصل أبي وكان خائفاً ليبلغنا بأن شقيقه الأصغر اُعتقل على يد داعش.

- بالإمكان أن تهرب بمساعدة أحد الأصدقاء.

قالت له أمي:

- للأسف صار الجميع أعداءً لنا. ولا أضمن حياتي هنا وأشعر بالندم لأنني لم أستمع إلى إنذار زينب. وعليّ دفع الثمن.

قالها أبي بصوت واهن وأغلق الهاتف بعد أن أوصى أمي بنا خيراً.

كان أول الضحايا عمي حسين الذي ربطوه على عمود الإنارة وأشبعوه رصاصاً حتى صار من المحال جمعه إلا في كيس، ليليه عمي عبد الزهرة الذي عجز الدواعش عن كيفية قتلته لشدة حقدهم عليه خصوصاً أنه كان يقذفهم بالسباب والشتائم دون خوف فقرروا ربط (التي أن تي) بجسده الذي تناثر شظايا لحم محترق.

وهكذا وصل الأمر لأبي الذي قتل بدوره بضربة من سيف أحد الدواعش إستناداً إلى حكم شرعي باعتباره مرتداً.

تخيلوا أن يقتل ثلاثة أخوة في ذات النهار وسط عويل النساء والأطفال وتخيلوا هروب أبنائهم خوفاً على حياتهم وكيف تركوا آباءهم يموتون بتلك البساطة. كانت تصلنا الأنباء عن طريق ممَّن بقين من الأرامل في العائلة الكبيرة.

وعشنا لحظات من العدم والضياع يصعب تخيلها. بقتِ العائلة لثلاث سنوات في ضيافة الأخوال دون جزع أو تذمر، فيما قررتُ الإلتحاق بالحشد الشعبي للقتال ضد الدبابير.

ولولا الفتوى لصرت على شفا حفرة من الضياع ولولا معارك التحرير التي جاءت منقذاً من السماء لجننت في أحسن الأحوال أو لكنتُ من ضحايا عُش الدبابير.

ليحيا بك الوطن

جلس الشاب على فراشه يتابع محطات التلفاز ليفهم عن كثب ما حدث، دون أن يصل إلى يقين تامٍّ لما صارت إليه الحياة في مدينة الموصل، جلس تلك الجلسة الطويلة بعد أن إستأذن خطيبته لمتابعة أخبار الساعة التاسعة مساءً حين كان جالساً بمعيتها في بيت أبيها من أجل ترتيب موعد الزفاف.

وقد أبدت انزعاجاً منه وعدَّت تصرفه نوعاً من الإهمال.

مرَّت بضعة أيام على ذلك الموقف حتى فوجئ ذات مساء صيفي معتدل الحرارة إلى حد ما ليسمع بغتة صوت جاره وهو ينتحب لموت ابنه الذي جاءوا به ملفوفاً بالعلم العراقي شهيداً بعد أحداث الموصل. لقد أيقظ موت جاره الشاب بداخله روح الإنتقام من السفلة واستمدَّ من والد الشهيد الشجاعة حين صرخ.

- الوطن يمرَذ بأحلك حالاته ظلاما وهو في حاجة لأبنائه.

كرر ذلك القول لأبيه متوسلاً به ليقبل ذهابه إلى القتال.

- لكنك لست بمفردك فثَمَّة التزام يمنعك من ذلك يا بني

قال له أبوه بتردد واضح.

- إذا كان الأمر معقوداً على خطيبتي فأنا أفضل الجهاد في سبيل الوطن يا أبي

ألقى كلامه وانصرف

وصل نبأ رغبته إلى الإلتحاق بالقتال إلى خطيبته التي لم تدخَّر وسعاً في استخدام كلَّ مفردات الرفض لمنعه من تلك الخطوة. غير أنه كان مُصّراً على الذهاب لقتال الأوغاد ووعد خطيبته خيراً بمجرد الإنتهاء من المعركة والانتصار على العدو سيكون بمثابة هدية زواجهما. فما كان من خطيبته إلاّ الرضوخ لرغبته ولو على مضض.

- يا ولدي. إفعل ما تراه مناسباً

قالها الأب بشيء من التردد والخوف من المصير

- شكرا لك يا أبي وأنت تحملني شرف الشهادة

ارتدى ملابسه وحمل سلاحه وأمله الكبير وحبه لوطنه وركب الحافلة ملتحقاً بفتوى الجهاد الكفائي وكان في وداعه الأب قائلاً له كلمات معبرة:

- لا تنسى يا ولدي دموع الأمهات على أبنائهن ولا تنسى دموع الأيتام، ضع كلَّ الناس أمام عينيك. وكن شجاعاً مع أعدائك ولا تقتل جريحا ولا رجلاً مسالماً وإذا جاء عدوك مستسلماً فأسره وأطعمه وأعطه الماء.

ودّع أباه مؤكداً له إلتزامه بما أوصى به وسارت الحافلة وسط أفق ممتد إلى النضال من أجل استرداد حرية الوطن.

وجد الشاب نفسه بعد مسيرة إحدى عشرة ساعة في ميدان الحرب بعد أن تلقّى تدريباً سريعاً باعتباره لم يكن على أيّة حال بحاجة إلى تدريب كبير كونه قد خدم في الجيش سابقاً. وجد له مكاناً خاصاً في سرية الردَّ السريع وكان في مقدمة المقاتلين المتوثبين في الميدان وأصبح جندياً باسلاً وقد كُلف في معارك الساحل الأيمن بإخلاء

النساء والأطفال وحمايتهم.

الحرب تأكل الأخضر واليابس ولا تُبقي أيَّ حياة أو عاطفة أو وجدان ولكنه ظلَّ متمسكاً بالقيم التي تربّى عليها وعمل بما أراده منه أبوه.

في صباح يوم دافئ ككلَّ يوم يُجلي فيه النساء والأطفال والشيوخ من الأزقة الضيقة ليجنبهم أيَّة مفخخة أو ضربة قناص وجد الشاب نفسه محاصراً بعدد من الأوغاد بعد أن نصبوا له كميناً وأوقعوا به.

لقد كان الأوغاد يعرفونه مَنْ يكون فقد كان يؤرقهم بمرونة جسده وهو يفكك العبوات ويحمي الهاربين من بطشهم. استطاعوا استدراجه بعد أن تعاون معهم شيخ في السبعين من عمره حين اصطنع العوق بوصفه مشلولاً. الأمر الذي دفع بالشاب إلى أن يجازف بالذهاب إليه رغم تحذير الزملاء من مغبة العبور لخطورة المكان. لكنّ وصية أبيه فضلاً عن إيمانه بالله وبالوطن هما من دفعاه إلى ابتلاع الطعم وهكذا وجدوه الأصدقاء بعد يوم ونصف جثة هامدة لا حياة فيها معلقة على أحد أعمدة الكهرباء.

أنزلوه بحزن بالغ وببكاء مرّ وأرسلوه إلى أهله برفقة أحد الزملاء وقبل أن يروي زميله للأب قصة استشهاده قال الأب مرفوع الرأس:

- أعرف أن ابني قُتل مغدوراً وهو اندفع إلى الكمين حباً بالناس. أنا ربيته وأعرف مَنْ يكون ومع ذلك فهو شهيد يستحق الخلود والإكرام. فلتعش روحك بسلام أيُّها البطل وليحيا بك الوطن.

ومع انتهاء الأب من كلامه توارت خطيبته خلف النسوة المتشحات بالسواد تحمل معها صمتها الذي سيطول.

الحمامةُ والبارود

الى روح المقاتل علي عودة الذي مات موتاً أبيضَ كروحه.

رغم الخراب الذي تعج به المدينة بسبب عنف القتلة التكفيريين لثلاث سنين مرَّت كأنها كابوس ثقيل، لكن ابتسامة المقاتل (علي عودة) مستمرة وهو متفائل بحياة أفضل حين ينظر إليها من على الساتر المطل على أيسرها.

ذلك الساتر الذي يقف عليه الآن بوصفه أكثر السواتر الأمامية مواجهة مع داعش أثناء عمليات التحرير، ومن خلاله كان يجسَّد روح المقاتل الشرس المؤمن بقضية عادلة حيث كان واجبه تأمين الاتصالات مع قوات الجيش وفصائل الحشد الشعبي لتنظيم التحركات والإمدادات اللوجستية في المعركة.

يتذكر (علي عودة) كلما وقف يراقب أيمن المدينة وما حلّ بها من خراب، مدينته كربلاء بُعيد الانتفاضة الشعبانية وكيف أحالتها الطغمة المخلوعة إلى هيكل عظمي خاوٍ من أيَّة حياة لا سيما صورة تفجير المرقدين الشريفين للحسين بن علي وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام، لذا هو يدرك فداحة الحروب وقسوتها لأنه عاشها.

عندما سقطتْ مدينة الموصل بيد الإرهاب كان (علي) يعمل في محله الخاص ببيع الهواتف النقالة وله ذكريات بعيدة في الولع بالإتصالات، ففي بحوثه الخاصة التي كان يجريها لنفسه عبر استثمار منصة غوغل عَلِم عن حمام الزاجل معلومات كثيرة بوصفه أكثر النماذج قدرة على التواصل مع البشر وكيف وُظف للمراسلة وأدى مهامه بشكل جيد وكيف تطورت الإتصالات على مرَّ التأريخ حتَّى وصلت إلى عالم النانو والتقنيات العصرية.

في تلك البحوث توصل إلى ما يخدم قضيته في الحرب ضد داعش حين وجد نفسه وجها لوجه مع العدو في الموصل في واحدة من أكثر مآسي العصر قسوة وبؤساً قرر أن يتخصص في قضايا المراسلات التي يفهم بها وهكذا تكفل بتأمين الإتصالات في المعركة بين كافة القطعات.

ولأن (علياً) إنسان عمليّ ويفكر دائماً بالاحتمالات كافة قرر أن يؤسس لبدائل أخرى في حال انقطع الإتصال نتيجة تخريب أو تدبير كما حدث في معركة تحرير أيسر المدينة وعندما حققت القوات الأمنية التقدم السريع رغم أن طرفاً خفياً للعيان وواضحاً لجأ إلى قطع الإتصالات بمكرٍ كبير، والطرف كان الأمريكان كما صرّح علي بعد الإنتهاء من معارك التحرير بالنصر المؤزر عن خبر دراية لا رواية.

إن هذا التصريح كان له ثمن باهظ، فقد عقد طرفان العزم على تصفية عليٍّ نتيجة الهزيمة وهما بقايا الدواعش وجيوبه النائمة وضابط استخبارات أمريكي مهمته التواصل مع تلك الخلايا.

وبالنظر للؤم الامريكان وقدرتهم على فعل كل قبح فقد قرر الضابط اغتيال عليٍّ بالحمام الذي سخّره في لحظة من لحظات المعركة لمصلحة النصر وهكذا ذهب الطرفان إلى إعداد الحمام للهجوم عليه.

وككلَّ صباح معتاد كان عليٌّ يُطعم الحمام الذي عمل على تدريبه طيلة أيام الحرب.

وقد نجح في توظيفه بدقة إنجازٍ أربكت الدواعش وحلفاءهم من قدرة العراقيين على تلافي قطع خطوط الهاتف إلى أن اكتشفوا بدائل علي ممّا أوقعهم في حرج شديد فبعد مكرهم مُكِرَ بهم.

مع ذلك الصباح وبينما كان علي يُطعم الحمام تفاجأ بسرب من الحمام الأبيض قادماً نحوه بطريقه غير معتادة فاستشعر المكيدة وأراد أن يمتشق البندقية لمبادرة الرمي على الحمام لكنه استدرك الأمر وقال في نفسه:

- هذا الحمام المحشو بالبارود بريء من فعلته، إنها خطط القتلة ولن أكون مثلهم وأقتل الحمام حتّى وإن ضحيت بحياتي.

استمر سرب الحمام بالقدوم نحوه وسط ثباته

- لن أقتل الحمام حتى لو قتلني فأن أموت مظلوماً أفضل من أن أموت ظالماً. العدوان لن ينتهي بقتلي للحمام ولا بموتي.

قال جملته الأخيرة واستقبل سرب الحمام بقلب نقي أبيض كروحه. انفجر سرب الحمام قريباً من عليٍّ الذي كان يحمل بيده اليمين فتات الخبز ليطعمها وبيده اليسار صورة ابنه.

الرياح ستمضي بنا

على وقع خطى قدميه المناسقتين مع رياح آب تدحرجت كرة الياس نحو باب الجيران أثناء اللعب مع أخته (نازو) التي تكبره بستة أعوام فما كان من العم بابا (دوملي) إلاّ أن يمازحهما بصوته الشجي حين غنى لهما شعراً صوفياً عن الوجود ومصير الإنسان ولم يعلم لماذا تصرف هكذا معهما فكان حرياً به مثلاً إذا ما أراد فعلاً إدخال البهجة الى قلبيهما بعد القلق الذي صار واضحاً على حياة وسلوك الناس في سنجار لا سيما مع بوادر لهجوم محتمل من قبل التنظيم الارهابي داعش وكان حرياً به مثلاً أن يكون أكثر تفاؤلاً. في تلك اللحظة من حياة الأخوين لم يكن للمستقبل صورة ماثلة للعيان إلاّ بالقدر الذي لن يتجاوز حدود القرية التي ولدا فيها فثَمَّة وقت لتحولات أخرى ستسمى البلوغ والدخول بمرحلة جديدة من الحياة.

كانت (نازو) البنت الصغرى للسيد (بابير) خدر وثَمَّة أربعة بنات أكبر منها سناً قبلها فيما كان الياس الولد الوحيد للعائلة وهو صبيها المدلل بالضرورة.

وكانت علاقتهما أقرب للصداقة من رابط الأخوة.

كان السيد (بابير خدر) يعمل مزارعاً في حقله وصادف أنه في موسم زراعة التين الذي تشتهر به القرية بسبب حجمه الصغير. فيما كانت السيدة (ريحان حمو)

ربة بيت مدبرة وتساعد زوجها في بعض الأعمال الخاصة بالحقل عند وجود وقت فائض. وقد عُرِفَ عن (باپير) مهارته العالية والدقة في الرمي أثناء صيد الطيور حتى كان يلقب بالسهم القاتل في القرية.

لقد كانت حياة الناس في القرية هادئة ووديعة ولا غبار يعلوها ولكن بمجيء داعش انقلبت الأوضاع رأساً على عقب وعلى الرغم من أن القرية ما تزال بعيدة عن شرورهم إلاّ أن ذلك لن يمنع الخطر لا سيما في الآونة الأخيرة مع بداية آب حيث ثَمَّة فوضى غير بعيدة عن سنجار تلوح في الأفق.

في شهر آب يكون الطقس نسبياً في سنجار أفضل من باقي الأماكن الأخرى بحكم طبيعة المنطقة، ومثل كل يوم روتيني يخرج السيد (باپير) إلى عمله تفاجأ بأصوات إطلاقات نارية من بعيد.

وقد أدرك قدوم الخطر فاضطر للعودة الى بيته لأخذ الحيطة والحذر من أيَّ احتمال سيء، أخرج بندقيته البرنو القديمة والتي ورثها عن أبيه وألقمها عتادها، ذلك الأمر أقلق القرية حين شاهدوه متسلحاً، وقد أبلغهم بتوقع قدوم السفلة وعليه إيقافهم.

أصبحت توقعات (باپير) واقعاً لا سيما بعد هروب القوات المحلية المكلفة بواجب حماية الناس الذين وجدوا أنفسهم وحيدين من غير قوة ولا ناصر. وإن هي إلاّ ساعات قلائل حتى اجتاز الجراد القرية من كل الجهات بحيث لم تستطع القرية مقاومة هذا الهجوم السريع والمقترن بولاء عقائدي إلى وثنهم الكبير.

في ظل هذه الفوضى، هرب مَنْ هرب وتخلف مَنْ تخلف. إذ كانت لحظة قاسية تفصح عن مرض في القلوب بسبب الفظائع التي ارتكبها التنظيم ضد النساء بالذات

والأطفال. لقد هرب الرجال القادرين على الهرب فيما سقط العاجزون عنه من كبار السن والأمراض المزمنة، لم يكونوا يعرفون إلى أين الهروب فالطريق إلى أربيل طويل ومعقد.

وأمّا البقاء في القرية فثمنه مُرّ وقاس، لذا ذهب الناس حينما تأخذهم الرياح.

استبسل السيد (بايير خدر) بالدفاع عن الأرض والعرض وكان قد اتخذ مكاناً مرتفعاً عن القرية بين شجرتي سنديان معمرتان ليمكث بينهما مؤججاً مضاجع الدواعش حيث قتل وأصاب العشرات منهم وكان يحاول ألاّ يخطأ برصاصة واحدة لفائدتها في تلك الظروف.

وممّا زاد حقده ونقمته عليهم بالإضافة إلى قذارة فكرهم وأشكالهم فثمة قذارة ثالثة أكثر بشاعة وهي سلوكهم الذي يعبّر عن مدى الضياع واليأس اللذين يدفعان ببعض الناس الى اللحاق بهم.

إن حقد السيد (بايير) تضاعف ضدهم منذ اليوم الذي أخذوا زوجته السيدة (ريحان حمو) مع بناتها عدا (نازو) التي استطاعت الهرب والاختباء برفقة أخيها الياس وسط حقول التين حين ضاعا من أمام أنظار القتلة. حدث ذلك بعد التأخر بالهروب حيث لم تسعف أقدام بعضهم السباق مع الزمن لحظتها.

وكان للسيد بابا دوملي موقف كبير حين تصدى للأوغاد في محاولة منه لمنع أخذ ريحان وبناتها في الوقت الذي كان بايير مشغولاً بمساعدة كبار السن في الهروب.

فقد ضرب أحد القتلة بابا (دوملي) دون عناء إطلاقة في رأسه وأرداه قتيلاً في الحال.

إن الأخبار التي تتناقلها الألسن إعلامياً وشعبياً تشي بحالات اغتصاب وتعذيب وقتل يقوم بها التنظيم وهي حالات لا أخلاقية وغير مسبوقة في حياة الناس إلا أن وجود الغرباء ممّن أهلتهم أمريكا وتركيا وإسرائيل وإن كانوا عراقيين للأسف هم من أغلوا بالناس عدوناً خلافاً لفطرة الحياة القائمة على السلام.

ظلَّ السيد بابير خدر يقاتل التنظيم في ظل غياب زوجته وبناته الأربع دون أن يعرف مصيرهنَّ بخلاف (نازو) و(الياس) اللذين دفعهما للهروب نحو الجبل ليعتصما به حتى حين. وبعد مرور ثلاثة أسابيع من هذا الخراب تَمَّ القاء القبض على السيد بابير ولم يطيلوا الكلام معه حين وجهوا اليه الإتهام بقتل العديد من جند الإسلام ومقاتلي الخليفة وقد سخر بهم بابير ضاحكاً ليقتل شرّ قتله.

بعد أن شعر بابير بقرب أجله كان يفكر بالعائلة وأين هم الآن، وهل تمكنت نازو الوصول الى الجبل مع الياس؟ فالموت في هكذا ظرف يستدعي تنشيط الذاكرة.

أُقتيد السيد بابير وسط تهليل الجماعة التكفيرية إلى حقله من باب إذلاله وتطويعه وقد تكلّم معه أحد السفلة قائلاً:

- بالإمكان أن تتوب وتلتحق بالطريق القويم معنا.

أطلق بابير سيلاً من البصاق تجاهه رافضاً لدعوته لثقته بنفسه ولإيمانه بها. فما كان من ذلك المبصوق بوجهه إلاّ أن رفع سلاحه ليرديه ميتاً.

وقد وفّر الألم له بذلك القتل السريع بفارق أنه لم يستطع إغماض عينيه اللتين ظلّتا مفتوحتين.

ومن جهة السيدة (ريحان حمو) فقد قاومت القتلة بعد ليلتين من اختطافها وبناتها كسبايا حرب بحسب زعمهم حين حاول نفر منهم أخذ بناتها للاستمتاع بهنّ الأمر الذي دفع بالسيدة (ريحان) أن تخرج سكيناً كانت قد أخفته تحت ثيابها دون علم القتلة لتطعن اثنين منهما في القلب بنحو مباغت ليسقطا من فورهما فيما لاذ الثالث بالفرار بعد طعنه في أعلى الكتف.

ولم يمر هذا الموقف مروراً عابراً فسرعان ما دخل قتلة آخرون عليهم ليقتلوا الأم بسيل من الرصاص انتقاماً لقتلاهما وأخذوا البنات ليعبثوا بهنّ عبثاً لا نظير له.

وفيما يخص (نازو والياس) فقد اتجها إلى حيثما تذهب الرياح بهما علَّهما يعثران على الطمأنينة والسلام.

- إلى أين نمضي يا أختي؟
- إلى حيث تأخذنا الرياح يا أخي.

صَقرُ سهل نينوى

كأي صباح اعتيادي خالٍ من الضجيج إفتتح السيد محمد مهدي يومه بانتظار بيع جديد لمواد البناء في محله البسيط جداً، ومع بساطة مكان عمله وقلّة مبيعاته إلاّ أن حياته كانت سعيدة لا سيما إذا ترافقت مع تلك الحياة زوجة صالحة وأربعة أطفال.

والسيد محمد مهدي بالكاد استطاع الحصول على شهادة أولية إذ حصل على شهادة الدراسة المتوسطة فحسب بسبب حجم المسؤوليات التي وجد نفسه فيها بعد موت أبيه الذي لم يبلغ عقده الرابع بعدُ في حرب غاشمة وضروس دامت ثماني سنوات. هكذا وجد نفسه أباً منذ وقت مبكر فكان لزاماً عليه إعالة عائلة كبيرة ورثها عن أبيه حيث كانوا أربعة أولاد وبنتين فضلاً عن جدّين طاعنين وأم أرملة بالتأكيد، الأمر الذي دفع به مبكراً نحو سوق العمل كعامل بناء أجير إلى أن أستطاع تأسيس محل بيع مواد البناء هذا بعد سنوات من الكدح والعمل المرير.

في هذا الصباح وبعد أن افتتح محلّه كأي يوم اعتيادي سمع أنباء عن تداعيات كبرى تتعلق بصفحة خيانة وتآمر تعرض لها الوطن الجريح، إثر سقوط الآلاف من

الشباب في سبايكر فضلاً عن سقوط الموصل وصلاح الدين بشكل مروع ومخيف.

لم يتمالك أعصابه فهرع من فوره عائداً إلى البيت بطريقة متوترة دون أن يغلق محلّه لأنه وضعه أمانة في عنق أحد أصدقائه الأوفياء لتأمين لقمة كريمة للعائلة لأنه قرر الالتحاق فوراً إلى جبهات القتال.

قفل راجعاً إلى زوجته مطالباً إياها بأن تُخرج له ملابس الحرب التي اعتاد إرتداءها مرات ومرات. في بادئ الأمر إعترضت زوجته على فكرة ذهابه إلى الحرب مجدداً مبررة ذلك بأن العائلة في أمسّ الحاجة إليه لا سيما بعد أن بدأ الأولاد يكبرون ولكنه استطاع إقناعها بما يؤمن قائلاً لها:

- عليك ألا تقلقي على العائلة فهي في النهاية في رعايته وحفظه.

وهكذا شدّ رحاله إلى النجف بانتظار القول الفصل من قيادته التي وضع ثقته بها منذ عقد ونصف من تأريخ اليوم.

وإن هي إلا أيام معدودات حتى وصلت فتوى الجهاد ضد العدوان الغادر وهكذا وجد نفسه مقاتلاً شديد المراس في سهل نينوى بصفته ضمن فصيل الاستخبارات الخاص بفوجه المرابط هناك.

وتستمر المعركة ومعها الحياة بالمسير يومياً ما بين شهداء ومصابين وأصحاء، ما بين خوف وانتصار وانكسار وإيمان، ما بين فقر وعوز ومساعدة وخذلان، حتّى أتمَّ الله نصره بهزيمة ماحقة للأوغاد إلى حيث لا رجعة فيهم أبداً بعزيمة الأبطال وصبر الأمّهات ودعائهن. وكان السيد محمد مهدي بانتظار العودة إلى أهله بعد زمنٍ من

القتال مترافقاً مع يُسر الحال في محله المتواضع الذي صار رزقه وافراً بفضل الله لحسن الظنَّ به.

وقبل منتصف الظهيرة من يوم العاشر من المحرم بعد أن كان جاهزاً للعودة إلى أهله فوجئ بعائلة نازحة تعود إلى الديار بعد غربة طويلة إلّا أن مشكلة تواجه هذه العائلة وهي تأمين بيتها المفخخ من قبل الأوغاد فما كان منه إلاّ أن يتبرع من أجل الذهاب برفقة العائلة وتخليص منزلها من القنابر المزروعة داخله وبالرغم من اعتراض مسؤوله عليه لأن عليه النزول إلى العائلة وثَمَّة بديل قادم للمهمة لكنه أبى إلاّ أن يكون هو صاحب المبادرة لأنه لا يريد إفساد فرحة عودة العائلة الى ديارها في حال تأخر البديل عن الإلتحاق. لذلك هرع مع العائلة ويا ليته لم يهرع لأنها كانت آخر لحظة يراه فيها أصدقائه فقد أنفجر عليه البيت بسبب تعقيد العبوات بعد أن أبعد عليٌّ العائلة ليدخل وحده دون أن يضع أمامه خوفاً أو قلقاً أو توتراً. فقط كانت عيناه تتوجه صوب العائلة العائدة.

إستشهد السيد محمد مهدي صقر سهل نينوى كما كان يُلقب دون أن يشعر بالأسف لشيء فللوطن حقٌّ في أعناق أبنائه.

إستشهد بشرف الأبطال فالسلام على روحه يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يبعث حياً.

درسٌ في الحياة

أسوأ الأشياء التي يمكن أن تكون بها هي وجودك بين خيارين مُرّين ولا ثالث بينهما فإمّا أن تكون مع القوات الأمنية لتقتلك داعش أو مع داعش لتعتقلك القوات الأمنية. هذا بالضبط ما حدث معنا دون مراعاة من أحد الطرفين بما كنا نشعر به من خوف وقلق حيال ما ترافق مع عمليات التحرير.

طبعاً أنا أتكلم باعتباري عشتُ مرارة الحياة بين نارين وعن تجربة عمي الشيخ صالح الذي دفع حياته ثمناً لقوله ((لا)) عندما فجّروا مضيفه الكبير ولم يكتفوا بذلك بل أوغلوا قتلاً بأبنائه السبعة إنتقاماً منه، الأمر الذي أخضع الجميع عن طوع أو إكراه لهم.

فيما بقيتُ متردداً بين الإلتحاق بالدواعش أو بالمقبرة. إن هكذا لحظة يعيشها رجل مثلي يحترم ذاته ويُنظرُ إليه بعين الإعتبار والتقدير، بالتأكيد لن تسرّ صديقاً وفيّاً ولا عدوّاً حتى، مهما بلغ به الحقد. لذا كان عليّ أن أقرر....

وقررت بالفعل، قررتُ أن التحق بالموت طواعية احتراماً لنفسي وألاّ أُقرَّ إقرار العبيد كما فعلها رجال آخرون قبلي عُرفوا بالاستقامة لكن حبهم للحياة جعلهم

خانعين للدواعش للأسف. بعد رفضي التعاون معهم رغم بقائي مكرهاً بينهم قرروا إعتقالي والذهاب بي إلى حاكمهم الشرعي الذي لم يطل النظر بوجهي حتّى أفتى بقتلي طبقاً لما تقوله شريعتهم.

إذن كان عليّ أن أموت على هواهم وأسلوبهم وهو الأمر المحزن لي إذ لطالما كنت أحلم بالموت مثل أبي الذي قال ((لا)) بوجه طاغية زمانه إبان حرب الثمانينيات. اقتادني صبي لم يتجاوز في أحسن حالاته العشرين من العمر ولكنه كان متحمساً جداً بعد أن شدّ وثاقي بحبل متين إلى خلف ظهري.

- ستُنحر مع صلاة الفجر قربةً لله.

أجبته ساخراً

- وهل تعرفون الله حقا؟!

دفعني بقوة معلناً عن رفضه لسؤالي الساخر منهم وواصل اقتيادي الى مكان مجهول وسط كلمات بذيئة أشبع أذنيَّ بهن. وهو أمر غير مستغرب منه فهو ربيب الحقد والجهل، وحين وصلنا إلى بيت ليس بالبعيد جداً عن مكان محاكمتي الصورية أدخلني إلى قبو البيت واستلمني رجل شيشاني أبرش.

- خُذ هذا الصيد الثمين وتقرب به إلى الله.

قال ذلك وضحك بقوة وغادر المكان.

مسكني الشيشاني الأبرش من وثاقي ودفع بي إلى القبو المظلم إلاّ من أنين آخرين كانوا موجودين قبلي في المكان. لم أستطع التعرف عليهم فكلهم أغراب عن

المدينة ولكن أكثر الموجودين ممّن علقوا في ذاكرتي كان رجلاً من جنوب البلاد ممّن وقعوا في أسر الدواعش. وقد حوكم بالحرق حتّى إشعار آخر. المهم في أمر هذا الفتى أنه كان غارقاً ببحر من الدم حيث يأخذوه يومياً إلى التعذيب لساعات طويلة على أمل انتزاع اعتراف منه بخصوص عمله في الاستخبارات العسكرية كما عرفتُ منه. لكنهّ كان يأبى إلاّ أن يقاوم الجلادين ويصبر على وحشيتهم مهما بلغت من قسوة لأنه أقسم على الولاء للمهنة وشرفه وعدم خيانة رفاقه.

- هل تعرفون الله حقاً؟

كررتُ سؤالي إلى الشيشاني الأبرش والذي أجاب بعربية فصيحة لكن بلكنة أعجمية بسيطة

- أكثر منكم أيُّها المرتدون عن نهج الحق.

وأضاف بعد أن ضربني بسوط ذي لسعة حارة

- إغلق فمك وإياك أن تتكلم فلديّ الحق بقتلك قبل موعدك إذا ما أسأت.

إذن صار واضحاً بأنني سأموت بعد بضع ساعات وصرت متردداً بالبقاء على موقفي برفض الطاغوت أو اللحاق بركبه. بقيتُ أصارع نفسي وسط صمت المكان إلاّ من أنين متصاعد من ذلك الشاب الجنوبي الذي إنتبه لقلقي وقال:

- هل أنت خائف؟

- نعم قليلاً.

- لا يتعين عليك الخوف فأنت رجل خبرت الحياة ولا شيء فيها يستدعي الإهتمام ففي النهاية الجميع سيموت ولكن عليك اختيار موتك بشرف.

- كيف؟

- بمواجهة القتلة بعينين مفتوحتين وبسالة كبيرة وأن تفرغ رأسك من العائلة ليكون موتك أقل ألماً.

- لماذا عليّ اتباع تلك الاشياء؟

- لتموت بفخر ولئلا تكون مندحراً.

وأنا أفكر في هذا الظلام الدامس بما قاله ذلك الشاب قلتُ مع نفسي إذن سأفتح عينيّ غداً بكل قوة، ومع ذوبان الوقت شيئاً فشيئاً ومع اقتراب الفجر لم أتحسس إلا نفحة نار من فوق القبو وبدأ الليل ينقشع وصار نهاراً بمعالجةٍ من القوات الأمنية والحشد الشعبي الذين دخلوا المكان وحوّلوا الشيشاني الأبرش إلى بقايا بشر لنتحرر من بطشه ونستعيد الحياة. عند تلك اللحظة من حياتي خرجت بدرس عظيم من ذلك الجنوبي الذي صمد بوجه التعذيب ولم يخن رفاقه.

عالمٌ بحجم الكف

ربما من غير المناسب هنا التحدث بكل التفصيلات التي دونتها السيدة سارة جرجيس لسببين أولهما هامش المساحة الضيقة لكتابة قصة قصيرة وثانيهما قسوة ما مرَّت به من موت محجوب بالانتظار لثلاث سنوات متتالية. وبعد خروجها من الموت مرفقة بتسعة عشر شظية وتشوه في الوجه وفقدان رباعيتها جراء ضربة تلقتها من أخمص بندقية أحد السفلة.

بالنسبة لي وكصحفي مكلّف بتدوين ما حصل من ترويع للآمنين في الموصل بُعيد أحداث التحرير فقد تعرفتُ على السيدة سارة جرجيس التي أعطتني بضعة أوراق ملفوفة بعناية ومكتوبة بخط أنيق يلخص تجربة حياة.

واليوم وأنا على أعتاب نهاية ٢٠٢٠م أقف عازماً على نشر ما كتبته السيدة جرجيس مع أنها أوصت قبل موتها بأن أوراقها يجب أن ترى النور. لأنّ تثبيتَ الحقيقة بشهادة مَنْ تعايش معها واجب أخلاقي. لا سيما مثل تلك الحقائق التي تحمل كمّاً من المعلومات الصادمة التي دونتها جرجيس بوصفها شاهد عيان موثوق عاش الموت لثلاث سنوات كما مرَّ بنا آنفاً. غير أنني تقاعست قليلاً في النشر بسبب انشغالي بتقارير أخرى حررتها للنشر طيلة السنوات الماضية توثق شكل الحياة تحت جحيم داعش.

إن الأوراق البالغة ثلاثين ورقة مكتوبة بخط أنيق وقد حرصتِ السيدة سارة على تدوين كلَّ صغيرة وكبيرة ولكنني هنا سآخذ أهم الأيام التي يمكن وصفها بالدامية مع الإشارة بأن مخطوطتها معنونة بهذا الاسم (عالم بحجم الكفَّ) لأنها كتبت ودونت أولاً في الهاتف ثم نقلت الكتابة بعد التحرير إلى الورق.

٢٠١٤/٦/٦م

من أسوأ الأيام التي يمكن أن يمرَّ بها إنسان. ففي هذا اليوم المشابه ليوم سقوط بغداد على أيدي المغول دخلت المدينة في مرحلة الظلام والضياع وسيادة العنف والكراهية وتحوّلت الحياة إلى جحيم يذّكر بالآخرة. فعلى حين غرة من غدر الزمان والبشر معاً بيعت الموصل إلى الدواعش وبسرعة البرق اختفت كلُّ القوات الماسكة للأرض وصرنا رهائن.

٢٠١٤/٦/١٠م

بدأ السفلة بالتحري عن المسيحيين وقاموا بجرد أعدادهم بمساعدة من السكان المحليين ورصد ممتلكاتهم بانتظار أوامر الوثن البغدادي للتحرك عليهم وإخضاعهم على ما يكرهون.

٢٠١٤/٦/١٥ م

كان أول الضحايا الأب أنطونيوس بيروكلوس راعي كنيسة الآباء الدومينيكان بعد أن عاملوه كمشرك يستحق القتل. فحين رفض دعوتهم للدخول إلى ملتهم ومبايعة وثنهم، قاموا بتقطيعه إلى نصفين من خلال ربطه بسيارتين رباعتي الدفع

باتجاهين متعاكسين وسط صدمة وخوف أتباع الأب الذين اضطروا مكرهين إلى دفع كلَّ شيء كجزية للتخلص من الموت مؤقتاً ريثما يجدوا طريقاً للهروب والخلاص من القتلة.

١٧/٨/٢٠١٤م

وبينما كنتُ أتنكر بزيّ نسائهم وفي طريقي إلى السوق وجدتُ إرهابياً بلحية وسخة وملابس رثَّة وأسنان صفراء يقيّدُ نحو ست بنات لن يتجاوز عمر أكبرهن سبعة عشر عاماً وكان يعدهنّ سبايا له وهنّ من قرية كوجو وسط إذلالهن. وقد قايضه أحد السكان المحليين وأنا أعرفه بصفته محسوباً على النظام المخلوع والتحق بهم، قايضه بمبلغ زهيد على اثنين منهم وأخذهن للمتعة.

٨/١٢/٢٠١٤ م

إشتد البرد وخرجتُ من البيت الذي كان بديلاً عن بيتي فقد صرت في عداد الهاربين بالنسبة لمكان سكني الأصلي لأنني اختفيت في بيت صديقتي المسلمة السيدة خديجة فاروق وهي من صديقات الدراسة الابتدائية وكانت تسكن لوحدها فيما كانت لديها أخت اسمها صفية تزورها بين حين وآخر وكان من حسن حظي أن صفية منقبة ممّا وفرّ لي قدرة تضليل الدواعش بالعثور عليّ.

١/١/٢٠١٥م

قُتل شاب صغير رمياً بالرصاص لأنه هنأ صديقاً له بمناسبة رأس السنة الميلادية بوشاية من صديقهم الثالث وهم أصدقاء فضلاً عن كونهم جيران، شاهدت ذلك بالقرب من المخبز الذي كنتُ ذاهبة إليه.

٢/٢/٢٠١٥م

فجّر الدواعش كنيسة الطاهرة وسط الموصل والتي تقع في حي الشعّارين بعد أن زرعوها بالمفخخات وسط صمت السكان الذين لم يكلّفوا أنفسهم بجملة إدانة واحدة ولو في السرَّ.

١٧/٦/٢٠١٥م

تَمَّ حرق فتاتين أمام أنظار المارة قريباً من السوق لأنهما رفضتا الإنصياع إلى رغبة أحد قذارات داعش حين كان يروم الزواج بهما في ذات الليلة علماً أنهما كانتا توأمين وهذا يخالف بحسب علمي ضوابط الدين الإسلامي الذي يحرم الجمع بين الأختين.

٢٢/٨/٢٠١٥ م

يصادف اليوم عيد ميلادي حيث أتممت الستين ولا أنتظر من الحياة سوى زوال هؤلاء السفلة.

٢٥/٤/٢٠١٦م

فجّر الإرهابيون اليوم كنسية الساعة التي كانت تسمى بكنيسة الأعجوبة لكثرة كراماتها المجربة من الجميع وكانوا في العام الفائت قد نهبوا كافة محتوياتها بعد أن فخّخوا الكنيسة كعادتهم وطالبوا السكان القريبين منها بالابتعاد لمسافة آمنة ولم أشاهد لحظة التفجير لكنني وصلت إلى المكان بعد ساعة ووجدت الدمار.

٢/٨/٢٠١٦م

بعد ظهيرة هذا اليوم تَمَّ إعدام نحو عشرين شاباً بتهمة التواطؤ مع الحكومة العراقية بعد اكتشاف مراسلات في هواتف بعضهم تؤكد تواصلهم مع الجهات الحكومية الأمنية لزعزعة الأوضاع في المدينة لاسيما مع تذمّر الناس الذين كانوا في البدء مغرراً بهم وبعد اعتراف اثنين منهما تَمَّ كشف المجموعة كلَّها وإعدامهم أمام الناس.

١٥/٩/٢٠١٦م

سرية النساء العضاضات بزعامة داعشية روسية قُمن بضرب إحدى الفتيات لأنها أخرجت خصلة من شعرها وقد كُلفت إحدى العضاضات بِعضّ خدّها ونزع ما يمكن من عضلات منه لتشويهها لئلا تكون فتنة في الأرض.

١٦/١٠/٢٠١٦م

بدأت عمليات التحرير بقيادة الجيش العراقي والحشد الشعبي وصارت المدينة الى هرج ومرج وبدأت نزعات التمرد تتضح عند الناس وإن لم يتحركوا بعدُ لكن ثَمَّة ما يشير إلى ذلك.

٣/١١/٢٠١٦م

بدأت القوات الأمنية والحشد الشعبي الدخول إلى المدينة وبدأ الوثن البغدادي تحريض المقاتلين على الشهادة والدفاع عن المدينة.

٢٠١٦/١١/٢٣م

إستطاعت قوات الحشد الشعبي قطع الطريق الرئيس المؤدي إلى الرقة المعقل الرئيس لهم.

٢٠١٦/١٢/٢٩م

توقف القتال لأسبوعين.

٢٠١٧/١/٨م

إستطاعت قوات النخبة الوصول إلى نهر دجلة واتخذت موقعاً لها عليه.

٢٠١٧/١/١٠م

صار الإرهابيون إلى نزاع بينهم ودارت معارك قُتل فيها نحو أربعين مجرماً لاختلاف بين العرب مع جانب والشيشانيين والأتراك من جانب آخر فضلاً عن عشرات الجرحى حدث ذلك في الجانب الأيمن لكنّ الإعلام لم يعرف بتلك المجزرة.

٢٠١٧/١/٢٤م

إستعادت القوات العراقية شرق المدينة بالكامل.

٢٠١٧/٦/١٨م

أطلقت القوات العراقية هجومها لطرد الدواعش من آخر مواقعه في الموصل.

٢٠١٧/٦/٢١م

فجّر الدواعش منارة الحدباء التأريخية وجامع النوري الكبير.

١٩/٦/٢٠١٧م

أعلن النصر على السفلة وولّوا إلى حيث لا رجعة. وفي هذا اليوم الذي أعلنت فيه عن هويتي بعد إخفائها كلَّ ذلك الوقت، وجدت نفسي تحت وابل من الرصاص كاد أن يودي بحياتي لولا أحد أفراد القوات الأمنية الذي أنقذني في اللحظات الأخيرة. ولولاه لما أنجزت كتابة هذه المذكرات.

٢٠/٨/٢٠١٧م

بعد شهرين من التحرير الناجز إلتقيت بصحفي شاب وأعطيته مذكراتي للحفاظ عليها كوثيقة تدرسها الأجيال بعدي. ولكنني أوصيت بألاّ ينشرها في القريب لئلا يُفيق الجروح عند الناس فبالكاد أندمل قبل وقت.

كان هذا التأريخ عبارة عن هامش كُتب أسفل آخر ورقة وإلى هنا تنتهي مذكرات السيدة سارة جرجيس (عالم بحجم الكفَّ) وتباعاً سأنشر أجزاء منها إيماناً منِّي بضرورة تعرية القتلة وفضحهم.

من هُنا طارَ الحمام

إلى روح الشهيدة أشواق النعيمي

تقديراً وامتناناً

عند استذكار ذلك اليوم السيئ من كانون الأول لعام ٢٠١٥م ليس بوسع الإنسان الذي يحترم ذاته إلاّ أن يصمت أبداً، سيما بعد صمته غير المبرر إزاء جريمة قلّ نظيرها قسوة وبشاعة، وأنا إذ أعيد الذاكرة إلى ذلك اليوم أشعر بالإدانة لنفسي لأنها ارتضت السكوت خوفاً من تبعات الكلام.

وكان جديراً بي أن أقول قول الحق ولو لمرة واحدة في حياتي، ذلك القول الذي لو قلته لكان من شأنه أن يعيدَ إليّ الاعتبار ويمنحني الخلود كما حدث مع السيدة أشواق.

أرتبطُ مع السيدة أشواق بعرى صداقة قديمة ترقى إلى طفولتنا في ذلك الحي الشعبي البسيط يوم كنا جارين فضلاً عن كوننا في مدرسة واحدة ومقعد دراسي واحد.

كانت أشواق شجاعة ومحبة للجميع وصادقة في كل أشيائها وكانت تدخل

الكثير من الصدامات من أجلي فأنا كنت طفلاً مسالماً وأعاني من حبسة كلامية تدعى التأتأة في النطق، الأمر الذي جعل الأطفال يتنمرون عليّ دوماً.

فكانت أشواق السند والأخت الصدوقة لي سيما مع كل يوم نغادر البيت معاً إلى المدرسة وهي محملة بوصايا أمي بضرورة الإنتباه إليّ وحمايتي من المشاكسين.

لم أتخيل بأن الحياة صغيرة إلى الحد الذي يمكن جمعها في بيضة! كما كانت تؤكد لي أشواق، ففي إحدى محاضرات درس العلوم حين بلغنا الصف السادس الإبتدائي وهي آخر سنة سنكون معاً إذ يتعين علينا الإفتراق في الدراسة الثانوية بحكم سياقات التعليم عندنا.

فقد سألتْ أشواق معلمة العلوم سؤالاً أكبر من وعي طفلة عند تلك السن حين قالت:

- هل يمكن جمع العالم في بيضة؟

أثار ذلك السؤال إعجاب المعلمة وأثنت على أشواق حين أجابت

- نعم يمكن، وعندما تكبرين ستتأكدين من ذلك.

وعلى الضفة الأخرى من أسئلة أشواق الجدلية التي كانت تُمطر المعلمين بها حين سألت معلم اللغة العربية:

- لماذا يكون الفاعل مرفوعاً أبداً؟

- ذلك ليس من شأنك يا بنت.

أجاب بتعجرف واضح.

- لا عيب في أن يسأل التلميذ، لكنّ العيب عندما يتهرب المعلم من الإجابة.

لم يقوَ المعلم على تقبل كلام أشواق وما كان له إلاّ أن يقرر معاقبتها بعشرين عصا لكل كف.

وعندما بدأ العقاب كانت أشواق صابرة وغير مهزوزة وتحمّلت الضرب المبرح في ذلك الشتاء من عام ١٩٧٨ وبالتحديد في العاشر من كانون الأول حيث موسم الثلج والبرد. كنت أتمنى أن أحمل العقاب بدلاً عنها كنوع من ردّ الجميل لكنني كنت جباناً وصمتُّ إزاء تلك العقوبة.

ومشتْ بنا السنوات يوماً بعد يوم وأنجزنا درسنا الثانوي لندخل الجامعة ونلتقي مستذكرين حياتنا الطفولية ومع أننا بقينا جيراناً لكننا انقطعنا في فترة مراهقتنا عن التواصل لاعتبارات تتعلق بالخجل، وفي جامعة الموصل تحسنت حُبسة لساني وصارت أقل وضوحاً وازداد وزني وبدوت وسيماً حتى أن أشواق تفاجأت من التحولات التي طرأتْ عليّ وكانت تمازحني بالقول:

- كأنك من نجوم السينما يا لتلك المحظوظة التي سترافقك.

وكنت أخجل من مديحها ولكنها كانت تريد تشجيعي على الحياة، وتخرّجنا وبدأ كلٌّ منّا حياته الخاصة فقد تزوجتُ كما تزوجتْ وصار لي أولادٌ كما هي وصرتُ شيخاً وهي كذلك، ومرت الحياة علينا مروراً سريعاً لم تُسعف ذاكرتنا بتسجيل لحظات الفرح كلّها خلافاً للحظات القهر والحزن والبؤس التي تبقى ترافقنا أزلاً كما يحدث معي اليوم.

ربما كان من سوء حظي أن أعيش تلك الاقترانات في ذاكرتي مع أشواق لأكثر من مرة وأخرج بنفس الموقف الصامت، أخرج مندحراً خائباً محتقِراً لذاتي، ولا أعتقد بأن شخصاً آخر مرَّ بمثل ما مررتُ من سوء الحظ.

فبعد الأحداث الدامية والمروعة أثناء سقوط الموصل بتلك الطريقة الدرامية وغير المفهومة سوى باللجوء إلى نظرية المؤامرة والغدر والخيانة فقد وجدتِ المدينة نفسها بين فكيّ كماشة التنظيم الإرهابي على حين غفلة من الزمن، لقد تغيَّرت حياة الناس بدءاً من أشكالهم وسلوكهم وليس انتهاءً بمواقفهم ولم أجد تفسيراً واضحاً لتحوّل الناس بمناصرة القتلة والمجرمين.

لم يكن علينا التوافق مع داعش ولو كُنا شجعاناً لَمَا قُتل المئات وهُجّر الآلاف ومع ذلك فقد تعلمنا من أشواق إن صوتاً واحداً حراً يكفي لهزيمة جيش من القتلة.

ففي ذلك اليوم الذي تحدثْ فيه أشواق الدواعش بالتحريض على عدم الذهاب إلى مدارسهم ورفضها التعاطي مع منهجهم الذي أرادوا به تزييف الحقائق وتغيير التاريخ والوقوف بوجههم بقوة إعتدنا معرفتها عنها بحيث أربك تنظيماً كبيراً تقف وراءه دولاً وأمولاً وأجندات، أربكت الخليفة وجيشه لمجرد أنها وقفت أمامهم بشجاعة وقالت لا، أشواق التي حرّضت الشعب على الإهاربيين ووقفت صامدة تدافع عن الحقيقة، دفعت حياتها ثمناً لموقفها عندما قرر التنظيم الإرهابي إعدامها بتهمة الخيانة والتمرد في صباح العاشر من كانون الثاني، ذلك الصباح الذي أعاد ذاكرتي إلى حادثة الصف ومعلم اللغة العربية يوم صمتُّ كما صمتُّ لحظة إعدامها وبمجرد انبثاق أول قطرة دم منها حتَّى طار الحمام من جسدها وملأ سماء المدينة ليقلب سواد القلوب الى البياض.

وفي آخر مشهد تبقى في ذاكرتي منها كانت عيناها ونبرة صوتها المليء بالتحدي وهي تنظر نحوي قائلة بابتسامتها المعهودة:

- يمكن جمع العالم في بيضة، تذكر ذلك دائماً.

مرثيةٌ لإنكسار الضوء

لطالما كنت أصلي الفجر متوسلاً بالله أن يرزقني بالولد الصالح البار بأبيه، فبالنسبة لرجل مثلي بلغ الأربعين من العمر بلا ذرية أمر صعب.

ومع التأخير في الأبوة إلاّ أنني كنت أؤمن بأن الغيب له القدرة على تغيير المصائر في كل لحظة.

وهكذا صرتُ أباً بعد الإنتظار طويلاً وأسميته عبد الرحمن، وبعدها فتح الله عليّ الرزق وجاءتني عائشة فحفصة ثُمَّ عبد العزيز وختامها آمنة حين بلغتُ الخمسين.

كنت سعيداً بالعائلة لا سيما مع اشتداد ساعد عبد الرحمن الذي بلغ العاشرة وأظهر شبهاً كبيراً بجده لأبيه خَلقاً وخُلقاً حيث بانتْ عليه ملامح الكرم وحُسن السلوك والإيثار وصرتُ أشعر معه بالإطمئنان على مصير العائلة بعد موتي.

لقد رافقني عبد الرحمن طويلاً في العمل أيام العطل لإطفاء فضوله حين كان يسألني عن طبيعة عملي الذي كان في دار الإفتاء بنينوى.

وكان كثير الشغف بالمكتبة حيث يقلّب الكتب بين يدين طامعتين بالمعرفة خصوصاً تلك التي تكون بمجلدات كثيرة، ولم يكن هذا الأمر يُزعج أمين المكتبة

لأن عبد الرحمن يحرص على إعادة كل كتاب إلى مكانه المخصص بعناية فائقة وإن لم يكتف فقط بتقليب الكتب.

في إحدى الأيام وكان قد بلغ الثالثة عشر ونبتَ له شعرٌ في وجهه وبدأ التحول الهرموني يبان عليه وفي غمره بحثه عن كتب تتحدث عن الفتنة في الإسلام وأحاديث آخر الزمان حيث الاهتمام الذي زرعه فيه مدرس التربية الاسلامية والذي لم أكن أتودد له لانتمائه السلفي المتشدد ولكن قلت في نفسي:

فليكن ذلك وعلى عبد الرحمن أن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة ولا أريد التدخل بأمره إلاّ إذا وجدتُ منه انحرافاً عن تربيتنا وعقيدتنا.

لقد بدأ عبد الرحمن يتغيّر مع كل شهر يمرُّ عليه، حتّى إذا بلغ الخامسة عشر من العمر وجدته استحال إلى كتلة من الكراهية والحقد على الآخرين المختلفين عنّا في العقيدة والعِرق وهذا أمر خطير ولا أقبل به.

- ما الذي يحدث يا ولدي أراك منغمساً في الكراهية؟
- أبداً يا أبي إنما وجدت الحقَّ مع أهله.

عند تلك النقطة من الحوار اكتشفت الضلالة التي وقع فيها ابني وكيف تعرض لغسيل دماغ بسبب اندفاعه إلى الأفكار التكفيرية، وصادف ذلك التبني مع احداث ٢٠٠٣ وسيادة الفوضى على الحياة في نينوى. فما كان لي إلاّ أن أعيد النظام الفكري لولدي عبد الرحمن الذي لست مستعداً لخسارته لأيَّ سبب كان. ولم يكن الأمر سهلاً نظراً لقدرة مدرسه بغسل دماغه وتلقينه أفكاراً سامة لا تمتّ لعقيدتنا في السلف الصالح بأيَّة صلة.

ولكن مع الوقت استطعت استعادته إلى الصواب وشعرت بسعادة بالغة لأن الضوء الذي حرصت على إدامة زخمه لم ينكفئ وينكسر.

ومع مرور الأيام صار عبد الرحمن شاباً أنيقاً ووسيماً وبلغ السادسة والعشرين من العمر فيما صرتُ شيخاً متقاعداً وقد أخذ عبد الرحمن مكانه بالاهتمام بشؤون الأسرة وتدبير أمورها وتزوّج من امرأة صالحة وأنجب ابنتين جميلتين، كنا عائلة سعيدة وشملنا محفوظ بعناية ربٍّ كريم.

لكن دوام الحال من المحال فقد وفدت الفتنة من خارج إرادتنا وتلاعب بنا الشيطان حين حرّضنا على أبناء الوطن الواحد، الأمر الذي جعل كلَّ خوّان أثيم أن يقبل بيعة الإرهابيين وكانت أسوأ لحظة في تأريخنا لحظة سقوط المدينة بين براثن داعش ولم أصبر على مشاهدة أجانب من أتراك وشيشان وعرب خليجيين ومغاربة وهم يسومون الناس العذاب ويوغلون قتلاً وتنكيلاً بهم لا لشيء سوى لأنهم لم يوافقوا على نهجهم ولم يبايعوا الباطل، حتّى وصل الدور لعائلتي التي رفضت بأجمعها اللحاق بالقتلة على الرغم من قبول كلَّ سكان الحي الذين ارتضوا بإذلال الدواعش لهم.

ومع التهديد المتواصل لنا بالقتل والنفي في حال عدم البيعة للخليفة الباطل تصدى لهم عبد الرحمن وجادلهم وأفحمهم بالرواية والدراية وكيف هم على باطل وقد أخرّست ألسنتهم وبهتوا بما قاله لهم.

ولكن الأمر لم ينتهِ إلى هنا بل تعداه الى فتوى أصدرها المفتي التكفيري بإعدام عبد الرحمن لجحوده ونكرانه لخلافة البغدادي.

وهكذا صار عبد الرحمن في عداد الشهداء وخلّف ابنتين يتيمتين وكان قاتله حيواناً تركياً قذراً نفّذ بولدي حكماً باطلاً ولن ينجوَ من عذاب الآخرة.

ومع موت عبد الرحمن ماتت رغبتي بالحياة وصرت أكتب المراثي شعراً ونثراً لانكسار ضوئه الدافئ الذي أشرقت معه حياتي.

موت اضطراري

لكل إنسان حظٌّ من الحياة وقدر؛ وهناك قدر يمشي إلينا وآخر نمشي إليه، ولكنْ في بعض الأحيان يسبق الإنسان قدره للخلاص من عذاب ما أو ألم أو بؤس، وفي بعض الأحيان يكون ذلك التسابق مع القدر اضطراراً.

اضطرت وجدان سمير العودة إلى مدينة الموصل وهي في أوج فوضتها في منتصف حزيران ٢٠١٤م من أجل الإطمئنان على عائلتها المكّونة من أب كبير بالسنَّ وأمَّ لا تخلو من أمراض الشيخوخة أيضاً، حيث كانت هي المتكفلة بهما.

لكنّ وجودها في بغداد صادف من أجل ترتيب عملية جراحية للأب في مستشفى ابن النفيس بعد أخذ الموافقات بالحجز وتحديد يوم العملية.

وعلى الرغم من ممانعة صديقتها زهراء وزوجها من عودتها الى الموصل في هذه الظروف إلّا أنها أصرّت على ذلك وبعد اللتيا واللتي قررت زهراء وزوجها مساعدتها بالذهاب معها إلى أربيل لإعطائها فرصة إخراج أمّها وأبيها من الساحل الأيمن والمُضيّ بهما الى بغداد برفقة أصدقائها لحين ترتيب وضع آمن لهم.

تعود عُرى الصداقة بين وجدان وزهراء إلى أبعد من عام ٢٠١٤م يوم كانتا طالبتين في جامعة بغداد في كلية التربية قسم اللغة العربية حيث تعرفتا على بعضهما ومنذ أول لحظة حلّت أواصر الكيمياء العاطفية بين الصديقتين اللتين كانتا تبدوان للآخرين كأختين نظير الشبه بينهما، ولعل ذلك من الأسباب المضافة لتمتين عرى الصداقة بتلك القوة.

وتمضي السنون وتزداد العلاقة حميمة بينهما دونما التفات إلى اختلاف الهوية الدينية بينهما لأنها كانتا على وعيّ بالمخطط الطائفي الذي جاء به الغازي الأشقر لشقّ وحدة الصف بين أبناء الوطن الواحد.

لقد روت ذات مرة وجدان لصديقتها زهراء كيف أن زمرة من الخونة المقنعين يعبثون بأمن المدينة ليلاً وسط ثبات القوات الأمنية لصدهم تارة وتراخيهم تارة أخرى لأسباب تتعلق باللامبالاة والكسل والإهمال، ولم يقف عبث الخونة بإحداث الضجيج والتوتر والتحريض على الجنود والذين أغلبهم من الجنوب بل تعدى الأمر إلى خطفهم وقتلهم غيلة.

وكانت وجدان في إحدى المرات شاهد إثبات على ذلك عندما كانت تروم الإلتحاق إلى بغداد مع بداية العام الدراسي للسنة الدراسية الأخيرة ٢٠١٣/ ٢٠١٤م وكيف اقتحم بعض المقنعين سيارة النقل وأنزلوا ثلاثة جنود كانوا عائدين إلى ذويهم في إجازتهم الدورية لقتلهم على الفور دون إعطائهم فرصة الحوار للدفاع عن أنفسهم.

عرفتْ ذلك من خلال صراخ المقنعين أثناء قتلهم للجنود أمام مرأى الناس بأن هؤلاء الرافضة نالوا جزاء وجودهم هنا لأنهم محتلون، وكان الجنود في مقتبل العمر ويرتدون ملابس مدنيّة، ومن سوء الحظ أن يستولي هؤلاء القتلة على الحياة في محافظتها في واحدة من أسخف المفارقات حين سقطت محافظة بحجم دولة أوربية بأيدهم في ظرف ساعات فقط بعد تخلي القادة عن واجباتهم.

تزوجت زهراء قبل التخرج بوقت وجيز واستمرت العلاقة بين الصديقتين وصارت أهمية زهراء وزوجها الآن وفي مثل هذه الظروف ملحَّة ومهمة لوجدان التي لا ناصر لها سواهما فأختها الكبرى غادرت البلاد برفقة زوجها للخلاص من فوضى الحياة فيها.

وفعل كذلك مثلها أخواها الآخرين اللذان استقرا في تركيا لحين ترتيب الخروج إلى بقعة أخرى من بقاع العالم الواسع، فيما بقت وجدان مع والديها وهم يعتاشون على إيجار ثلاث محال أخرجها والدها من بيته منذ وقت غير طويل فضلاً عن معاشه التقاعدي لقاء عمله في محطة قطار الموصل لثلاثين عاماً.

لقد أصيب والد وجدان بأمراض الشرايين التاجية الأمر الذي استدعى إجراء عميلة فوق الكبرى له في إحدى مستشفيات بغداد كما ذُكر آنفاً.

وهكذا وصل الثلاثة إلى أربيل التي لم تكن تخلو هي الأخرى من فوضى الإنسحاب والسقوط وتردي الطرقات أمنياً غير أنهم استعانوا بطائرة النقل المحلية؛ وبمجرد الاستقرار في إحدى فنادقها عادت وجدان إلى الموصل لتأخذ ذويها مثلما تَمَّ ترتيب الأمر.

ومن هنا تبدأ واحدة من أسوأ الكوارث التي عاشتها وجدان حيث تَمَّ إلقاء القبض عليها من قبل نسوة متشحات بالسواد كُنّ يجوبنَّ شوارع المدينة التي تحولت إلى حالة من الفوضى وشيوع نوع من الصور غير المألوفة على عين وجدان.

فلم تكن تتصور وجدان بأن الحياة قابلة للإنعطاف بمثل تلك الصورة الهزيلة فبمجرد تركها للمدنية لأسبوع واحد فقط لا غير حتى شعرت بالقيء بسبب وجود تلك الأشكال البائسة وهي تتجول بملابس سوداء ولحى كثة محملين بالأسلحة والكراهية للحياة ولكلَّ جمال.

كما لم تكن تتخيل بأن ثمَّة نسوة بدينات يتجولن في المدينة بعنوان شرطة الآداب لمتابعة خروقات النساء الأخريات ومعاقبتهنّ، وكانت جناية وجدان أنها ترتدي ملابس على غير ذوق دولة الخرافة الأمر الذي دفع بها وبلا سابق إنذار إلى الاعتقال والإقامة في السجن المركزي للنساء، ولم تنفع تبريرات وجدان لهنَّ كونها كانت خارج المدينة من أجل تأمين عملية لأبيها في العاصمة.

جاء الليل محملاً معه بأنين الموجوعين من هذا الخراب وجاء معه قدر وجدان الذي غيّر من حياتها عندما وصل أمير العسس بحسب تسمية قاموسهم له ليأخذها سبية كونها خرقت الأعراف الشرعية لدولتهم ويتعين معاقبتها، أخذها إلى مقر سكنه في إحدى الضواحي والذي كان مركز شرطة اتخذه مقراً له.

هناك مارس أشد أنواع التنكيل بوجدان وأقذر أمراض الإنحراف النفسي إذ عدها جارية له وسبية ويحقُّ له فعل أيَّ شيءٍ معها، وبعد أن جردها من كلَّ شيء ولمدة أسبوعين متتالين حتّى قرر التخلص منها، وظلَّ يفكر بطريقة يعبّر بها عن

مرضه وقذارة معدنة فلجأ إلى قِدر كبير مخصص لطبخ الأكل لأوغاده، فملأه ماء وبدأ يغلي على وقع نار خجلت من فعلته دون أن يخجل هو من عاره، ثم وبمساعدة من سافلَينِ من عرب الصحراء ربطاها بحبل سميك وجعلها تتدلى من أعلى السقف عن طريق خطاف كان موجوداً هناك وبدأ بإنزال وجدان إلى الماء المغلي ابتداءً من قدميها.

ومع كل جزء يغطس من جسد وجدان في الماء المغلي يتناهى إلى سمعها صوت أبيها وأمها، وفي دقائق معدودات فارقت وجدان الحياة دون أن تفارقها صورة أبويها.

تأخرت وجدان على صديقتها زهراء التي لم تعرف بمصيرها ففي آخر اتصال دار بينهما قالت بأنها دخلت المدينة وهي على بعد مسافة غير طويلة إلى منزلها وبمجرد أن تُرتب الأمور ستتصل بها، وبعد أن فقدت الاتصال بوجدان قررت زهراء وزوجها العودة إلى بغداد بعد أسبوع من الإنتظار، على أمل التواصل معها فلعل طارئاً حدث.

ومن ناحية رواية الأحداث فقد أعترف بها ذلك المدعو آمر العسس الى أحد مجاهدي الحشد الشعبي بعد اعتقاله بزيّ امرأة يريد الهرب من المدينة أثناء عمليات التحرير والذي بدوره روى ذلك المجاهد تلك البشاعة وهي واحدة فقط من عشرات البشاعات التي ارتكبها المجرم.

أنا أقتلُ لأتسلى

عندما سقطت الموصل بأيدي العصابات الإجرامية اضطررتُ مكرهاً وبدافع تجنب الموت إلى التخلي عن العمامة خوفاً على نفسي وعائلتي وكنت أعتقد أن وجودي حياً بين الناس أفضل من موتي وابتعادي عنهم.

فعلى الأقل يكون بإمكاني دفعهم للإبتعاد من داعش أو للانتماء إليهم وهذا ما حققته بتوفيق من القدير، وأثناء تلك المدة العصيبة من حياتي كان عليّ ترك المسجد أيضاً والابتعاد جهد الإمكان عن كل ما يمّت بصلة للدواعش.

ولكنّ سوء حظي قذف على رأسي واحداً من أكثر الناس قرفاً كونه جاري لينغص حياتي وعيشتي، فأحمد الشعّار نسبة إلى مهنة أبيه الذي كان يعمل في دباغة الصوف فأخذ التسمية منه كان من أعضاء الحزب الحاكم المخلوع وكان بارعاً في كتابة التقارير عن كلّ مَنْ هبّ ودبّ في أرض المدينة الواسعة.

وقد أوصل بتقاريره العشرات الى الإعدام وبالرغم من كل تلك الوضاعة إلّا أنه لم يطوّر من وضعه المالي فقد ظلَّ بلا زوجة وبيت لأنه أدمن الخمر والغلمان.

وبعد سقوط حزبه دخل في نوبة هيستيرية وصار شبيهاً بالمخبول لأنه لم

يستوعب ما جرى.

وبعد بضعة أسابيع إلتحق بما يدعى بالمقاومة ضد التواجد الأمريكي في المدينة ونفّذ عدة عمليات ضدهم لكنها وبلا استثناء أصابت الأبرياء وألحقت بهم الضرر والأذى دون أن تصيب جندياً أمريكياً واحداً.

وعندما اشتدتْ حملات الإعتقال عليهم فرّ هارباً إلى مكان مجهول وبعد ثلاثة أعوام من اختفائه عاد ابن الشعّار كما كان يسمّى إلى المدينة بزي رجل دين، وكان قد أطال لحيته ولبس العمامة والثوب القصير ولا أحد يعرف كيف وصل إلى ذلك النور العظيم وبدأ يشيع بين الناس بأنه تاب لله واهتدى.

في إحدى اللقاءات به بعد وقت وجيز من عودته حاورته فيما إذا درس الفقه على أيدي أساتذة كبار فوجدته يتعثر بالإجابة وتبيّن من سياق الحديث أنه كان في سوريا طيلة مدة اختفائه وهناك درس بعض أصول الدين وحاز على شرف ارتداء العمامة دون أيّة معرفة فقهية ولا حتَّى أولياتها.

وقد طلب مني أن أعطيه بعض الدروس من باب التقرب إلى الله باعتباره تاب توبة نصوحة.

لقد خُدعت به وجعلته يواضب على الحضور إلى المسجد لأعطيه دروس في الشريعة ممّا أضاف عليه شرعية ومقبولية اجتماعية.

وكان يمثل دور الحمل الوديع دون أن أرى داخله عدوانية الذئب، حتّى حانت لحظة الصدمة بسقوط المدينة بأيدي الإرهابيين حين كان ابن الشعّار من أول الملتحقين بهم وهنا كانت الكارثة، فقد ابتدع ابن الشعّار طرق متفننة في القتل منها طبخ الناس في قدور الماء الساخن أو حرقهم بالنار أو رميهم من أسطح البنايات أو

ربطهم بالسيارات وسحلهم، كلَّ تلك الأساليب مرفوضة شرعاً ولا تمتُّ بصلة للدين الذي تعلمناه في الحديث والسُنَّة ولا أعرف عن أيّ دين يتحدثون هؤلاء المبتدعة.

لقد خلعتُ عمامتي وبقيتُ جالساً في البيت بعد التخلي عن المسجد أيضاً كما مرّ سابقاً ولم أعد أقوى على سماع أنباء القتل اليومي. فتلك الروايات تثير في داخلي الإشئمزاز من كلَّ شيء، حتّى جاءني في أحد الأيام ابن الشعّار يريد مني البيعة للتنظيم وهو أمر رفضته بقوة وقال لي بالحرف الواحد:

- لولا أنني كنت تلميذك في وقت ما لكنتُ قد قطعتُ رأسك.
- هل هذا دينكم الجديد؟
- وهو نِعْمَ الدين.
- هل أنتم مؤمنون حقاً بالله؟
- ولِمَ لا؟ّ
- لا أظنُّكم كذلك يا ابن الشعّار فأنتم مارقون عن الدين ومبتدعون للضلالة.
- بدأتَ تتجاوز حدودك، هل تريد مني أن أقيم عليك حدّ الردة؟
- لله في خلقه شؤون يا ابن الشعّار

قلت ذلك ولذتُ بصمتي خائفاً من نتائج الكلام وبعد لحظة صمت تكلم ابن الشعّار وقال:

- أنت تعرفني قبل هذه الأحداث بشكل جيد وكنتَ صديقاً لأبي لسنوات

حتّى مات، وإن وجودي مع التنظيم هو لغاية في نفسي فقد سخر الناس منّي بعد سقوط دولتنا على أيدي الأمريكان السفلة وخرجت أقاومهم وكان بالإمكان أن أموت لولا هروبي إلى سوريا التي تعرّفت فيها على إخوان العقيدة الجديدة.

- وماذا بعد؟
- هناك شعرتُ بوجودي من جديد وصرت أتعطش للدم، لقد أحببت مهنة القتل والتنكيل بالخونة وصرتُ أقتل للتسلية وبلا قتل لا أشعر بالإنتماء إلى أحد وأريد منك البيعة للخليفة أنت ومن معك وإلاّ سأتلذذ بقتلك

قال ذلك وخرج بكلّ قبح وعنفوان وبعد هذا اللقاء الذي رفضت فيه البيعة قُتل من أفراد عائلتي خمسة عشر شخصاً وصرتُ تحت الإقامة الجبرية التي لم تزعجني لأنني في الأصل معزول وصار العالم في عينيّ بمقدار حبة خردل.

هذا المتوحش يقتل ليتسلى فكم من خراب للعقول أحدثوا؟! وكم من نذالة أنتجوا؟! وكم من وقاحة صدّروا؟ !وبقيت على هذه الحال حتّى جاءت قوات الفتح المبين مدعومة باسم الله أكبر وفتوى الجهاد الكفائي ودعم القوات الأمنية من جيش وشرطة ليدفعوا الضرر.

إن معركة المصير التي قادها إخوتنا في الوطن حرّكت فينا مشاعر الحبَّ والتقدير لهم وصار واضحاً بأن الأنظمة السابقة هي مَن دقت الأسفين بيننا، لأننا وبحساب بسيط نصل إلى قناعة لا مناص منها تتعلق بوحدتنا التي هى أفضل من فرقتنا.

ثلاث ساعات من الموت

يفتح المَرءُ عينيه على دفء العائلة والبيت وحنان الأبوين وتلك بحدّ ذاتها نعمة كبرى له كإنسان، فما بالك لو بدأ هذا المرءُ حياته في بيت الله برفقة رجل دين وقور وعالم رباني مثل الشيخ الجليل عبد الله.

تعود قصتي مع الشيخ إلى وقت مبكر من حياتي فبحسب رواية أمّي لي لاحقاً فإن أبي تأخر عن الإنجاب لسبع سنوات حتّى صار محط سخرية عند إخوته وبعض الأقرباء ممّن تجاهلوا المشيئة على كلّ شيء لغايات لا يعلمها إلاّ هو.

المهم وفي يوم من أيام شهر رمضان المبارك وبينما كان والدي على أهبة الاستعداد لصلاة المغرب قُبيل الفطور في جامع السلام رآه فضيلة الشيخ عبد الله وهمس بأذنه.

- أبشر يا رجل، لك عاقبة المتقين وسيمُنَّ الله عليك بولد قريباً.

قال ذلك وتوجه بدوره لتأدية الصلاة وسط ذهول أبي الذي لم يعلق على الجملة بل اكتفى بأن رفع يديه إلى السماء قائلاً بتوسل مترافق مع دموع باذخة من عينيه:

- يا رب.....

لم يمرَّ وقت طويل على ذلك اللقاء حتى بُشّر والدي بحمل أمي وهكذا نذرني أبي

خادماً لبيت الله وللشيخ، وقد أنجبت أمي من بعدي تسعة من الأخوة والأخوات.

هكذا صرت ابنا للشيخ عبد الله الذي أحسن تربيتي وهيأني للدرس الفقهي لأكون شيخاً، ومع مرور الأيام صرت أتقن علوم اللغة ودروس الفقه والشريعة ولمّا أبلغ الحلم بعد، وكنت مندفعاً للدرس جداً ومحباً للشيخ، وبمجرد بلوغي الثانية عشر من العمر نكث أبي بوعده للشيخ وجاء يريد استردادي منه إلى الأبد وسط صدمة بالغة تركها في نفسي.

- فضلية الشيخ أشعر بالحاجة الماسة لولدي خصوصاً بعد ازدياد عبء العائلة وأريده عوناً لي في مصاعب الحياة.

- ولكنك وضعته تحت تصرفي بموجب نذر متعلق بولادته.

- نعم، ولا أنكر ذلك، ولكنني أريد التنصل عن النذر وأستعيد ولدي.

- لك الأمر، غير أنني كنت راغباً بإعداده شيخاً بدلاً عني لحسن خُلقه وخَلقه ومع ذلك فله المشيئة في كل شيء.

أخذني أبي مكرهاً إلى بيته دون مراعاة لمشاعري تجاه ما أريد، وكان ذلك صبيحة أول أيام أيلول من عام ١٩٨٠م وكان عمري وقتها قرابة عشر سنوات.

وقد تساءلت أمي عن جدوى كذب أبي بخصوص إذا ما كنت قادراً فعلاً على مساعدته بإعالة العائلة، وأنا بذلك العمر فما كان من أبي إلاّ أن يصرخ عليها.

- هل جننتِ يا امرأة كيف أعطي ولدي لرجل غريب؟

- ولكن الشيخ مَنْ بشرك به! هل نسيت؟

- إنه أمر الله وليس للشيخ أيَّة علاقة به.

عموماً طال الجدل بينهما إلى أن ضُربت أمي لكمة أسكتتها عن الكلام لتنام ليلتها مهضومة من أبي.

تلعبُ الأقدار لُعبتها مع الإنسان ولن تترك له أيَّ مجال لاحتمالات الهروب منها. ذلك ما أسقط أبي الذي لم يُصْبحْ فقد وجدناه ميتاً فجر اليوم التالي رغم عدم شعوره بأيَّ عارض أو مرض، فُعدّ موته بمثابة رسالة للجميع بأنني قدر الجامع والشيخ فعدتُ إلى حيثما أرادني الله أن أكون.

- أنت قدر المكان يا ولدي ولا نعرف ما الذي ينتظرك؟

عدت إلى جنة الله ومرتْ بي الأعوام والسنون حتّى كبرت ولبست العمامة وصرت شيخاً بعد الدرس والتحصيل، وصرت أُعرف بالشيخ عبد الله الثاني تيمناً بالرجل الذي أوصلني الى هذا المقام، ومرتْ بنا الأعوام سريعاً ومات الشيخ عبد الله لأتولى نيابة المكان بدلاً عنه كشيخ جديد حظي برعاية الشيخ عبد الله حتّى أنه زوّجني إحدى بناته حباً بي كتلميذ نجيب كما قال لي وقتها.

الآن وأنا على مشارف منتصف عقدي الرابع شعرت بأنني خلقت لهذه المهمة الكبيرة عندما دخلت داعش المدينة باسم الدين والشرعية الدينية والدين منهم براء ففي ذلك اليوم الأسود من تأريخ الموصل صار العالم صغيراً عليّ ولم أكن أتصور من يكون إنساناً كيف يكون بهذا الكم من الجرم؟!

لقد لجأتْ إلى الجامع عائلة مسيحية طلباً للنجاة فقمت بإيوائهم في بيت الله والذي هو ملك للجميع بلا استثناء، فكلنا أبناء الله وإن اختلفنا في العقيدة،ة وكنت أؤمن بأن بيت الله له حرمة وقداسة غير أن الدواعش بعيدون عن أيَّ أخلاق وفضيلة.

فبعد ساعة جاءني نفرٌ منهم ووقتها لم يمضِ على سقوط المدينة سوى أيام، جاءني هذا النفر يطالب بالعائلة المسيحية المكونة من ثلاث بنات وأخ وأمّهم يريد النساء كسبايا فيما يريد أخوهم كأسير حرب!! وهذا منطق لا يمتُّ للشريعة بصلة فشروط الحرب غير متوفر طبقاً لمفاهيم العقيدة التي أؤمن بها، فرفضت الانصياع لهم وصرنا إلى جدال وكلام عنيف، خرج النفر الضال متوعدين بمحاكمتي كمرتد عن الملة وسط سخريتي بهم.

وإن هي إلا ساعات حتى اقتحم المكان رهط قبيح من الدواعش وقد دخلوا الجامع للأسف دون مراعاة لقدسية الصحن حيث كنت أصلي العصر حين دخلوا المحراب بأحذيتهم مدنسين طهارة المكان، واقتادوني بعد أن قطعوا صلاتي حتّى إنني طلبت منهم أن أُكمل الصلاة فرفضوا قائلين.

- لا صلاة لك ما دمت على غير ملتنا.

ماذا يحدث وكيف يتكلم هؤلاء القتلة؟ أنا مسلم سني شافعي ودرست الفقه على أيدي شيوخ أجلاء وزرت النجف الأشرف والتقيت بمراجعها ورجال دينها وأواظب على زيارة سادتي أئمة بيت النبوة الأطهار كما لم أتخلف عن زيارة سيدي عبد القادر الكيلاني وأبي حنيفة النعمان كلما سنحت لي فرصة الذهاب إلى بغداد والآن يقال عني خارج الملةّ!

إقتادني إلى مسجد النعيم حيث يقم هناك أحد أنذالهم ويسمّى بالحاكم الشرعي وكان أجنبياً للأسف وعرفت لاحقاً أنه تركي التحق بالتكفيريين منذ أيام الزرقاوي ليتحول شيئاً فشيئاً إلى داعشيّ، وعلى الرغم من وجوده في هذا البلد لعشر سنوات تقريباً وإجادته للغة العربية غير أنه ذو رائحة نتنة لأنه لم يتطهر بماء دجلة والفرات.

دخلت جدلاً عنيفاً معه دون فائدة ترتجى وطلب منَّي مجدداً تسليم العائلة المسيحية التي استطعتُ تهريبها لاحقاً عبر بعض الأخوة المؤمنين ممّن يصلّون معي في ذات الجامع منتهزاً فرصة ذهابهم بعد التصدي لهم.

ذلك التصرف في تهريب العائلة المسيحية أشاط غضب الحاكم الشرعي كما يسمونه وأفتى بقتلي رمياً بالرصاص على أن أحفر قبري بيدي، لم أخف من موتي فطالما أنقذت عائلة بريئة من قبضة هؤلاء، لكنّني خفت على مستقبل الشريعة إذا ما استمر وجود هؤلاء المجرمين.

وهكذا أخذوني في الليل لئلا يُحدث قتلي ضجة بين الناس لأنني معروف، فأخذوني إلى مكان مفتوح ليس ببعيد عن أطراف المدينة وكان ساحة مهجورة وطلبوا منّي أن أحفر قبري بيدي وقد فعلت استجابة لنداء القدر وحاولت التباطؤ لعلّ من منقذ يجيء ولكن دون جدوى. أنجزت إتمام حفر القبر ودخلت فيه طبقاً للأوامر ونمت مستقبِلاً القبلة كما تقتضي التقاليد وحين طلبت الاستئذان بصلاة ركعتين قبل موتي رفضوا.

نمت مسترخياً دون أيَّ شعور بالذنب ولم أغمض عينيّ فصممت على النظر بأعين القتلة، أمتشق أحدهم سلاحه وكبّر ثلاثاً وأطلق عليّ الرصاص بكميات لن

تسمح لي بالحياة شعرت بالدم يتدفق من أنحاء جسمي وصرت شلالاً من السائل الأحمر حتّى أُغمي عليّ وآخر جملة أتذكرها :

- إذهبا الجحيم غير مأسوف عليك، هذا مصير كلَّ خوّان وكلَّ خارج عن الملة.

قرروا طمري بالتراب لكن أحدهم أشار عليهم:

-لا تكرموا هذا الكافر بالدفن ودعوه للكلاب كي تنهشه في الدنيا قبل الآخرة:

غادروا المكان فيما سقطت في نوم عميق.

فتحت عينيّ على مكان نظيف ووجدت نفسي على سرير خشبي وأجواء غير مألوفة لي

- أين أنا؟

- أنت في بيت الرب يا أخي؟

- أجابني رجل بزيّ راهب مسيحي وأضاف:

- في تلك اللية يا أخي جاءني نداءٌ خفي يدعوني للخروج إلى حيث وجدتك دون معرفة منّي بما سيكون فقدماي هي مَنْ سارت بي إليك، كنتُ متنكراً مع رجلين من ملتي حين كنّا نراقب الموقف عن بعد وكان الله قد أغشى أبصارهم ولم يرونا وكنا شهوداً على كلَّ شيء، وبعد أن نفذوا جرمهم وغادروا هرعنا إليك وأخذناك وقد فعلنا كلَّ جهد لإنقاذك بعد موتك

لثلاث ساعات حتّى عاد نبضك إلى الحياة ثانية

قال القس كلامه وترك لي كأس حليب ساخن وأضاف:

- رتبنا لك خروجاً آمنا من المدينة برعاية القدير.

لقد مُتّ لثلاث ساعات لا أتذكرها كما هي ولكن الصورة التي ظلّت في ذهني صورة الشيخ عبد الله برفقة أبي من عالم النهاية متحابين وقال لي الشيخُ:

- نِعْمَ الولد أنت يا بُني إن الله معك وكما أبديت العون سيأتيك العون طوعاً نحن أبناء الله ولن يدوم البقاء للقتلة.

أغمضت عينيّ شاكراً الله على نعم الإخاء.

حفرة الرعب

أنا سعيد أحمد السائح من عائلة توارثت مهنة العمل كمختار أسوة بأبي وقبله جدي. وهي عموماً مهنة لا تخلو من المتاعب لا سيما بعد تداعيات الوضع الأمني في زمن الجراد الأسود، ذلك الجراد الذي وفد محملاً بحقد ولؤم واضحين ليس ضدنا فحسب بل ضد الإنسانية عامة.

كنت أتابع الأنباء المرعبة بخصوص سقوط المدينة بيد الإرهاب في غضون ساعات ودون مقاومة تذكر من القوات الأمنية، أتابعها من منطقتي في جنوب الموصل في حمام العليل ولمّا يأتنا الجراد الأسود بعد، وكان واضحاً أنها خيانة وصفقة بيع، أطرافها من الداخل والخارج تسببت بتلك المأساة، ناهيك عن دول مدّت الجراد الأسود بالمال وبالسلاح وتسهيل العبور إلى مدننا.

كان الجراد الأسود تنظيماً إرهابياً مجرماً بامتياز كبير وهو خليط من الأجانب عرباً وأتراكا وأروبيين وآسيويين لكن أسوأهم مع للأسف أبناء جلدتنا لأنهم أوغلوا بالجريمة والقتل واستحلال كلَّ شيء من أجل نيل مراضاة الداعمين لهم.

بالنسبة لنا في حمام العليل لا نختلف عن إخواننا في عموم المحافظة من تلقي إجرام التنظيم وهناك من الضحايا ما لا يعدُّ ولا يحصى ممّن لقوا حتفهم في مقبرة الخفسة كما يلفظها الناس هنا لكنّها بالأصل مقبرة الخسفة.

وسأسمّي مقبرة الخفسة أو الخسفة هنا باسم حفرة الرعب كوصف دقيق يليق بها عند الحديث عنها بوصفها واحدة من أعنف مخلفات الجراد الأسود.

يرجع تأريخ الحفرة إلى زمن سحيق لا يُعرف له تأريخ دقيق وقد كثُرت عنها الأحاديث والروايات فمنهم من قال بأنها من بقايا حضارة سابقة خسف الله بهم الأرض وأماتهم بسبب سوء أخلاقهم وآخرون ذهبوا إلى أن هذا الموقع كان واحداً من مقار خزائن قارون حين خسف الله به الأرض لتبقى شاهداً على الجشع وثَمَّة مَنْ يقولون بأن الحفرة كانت بحيرة جفّ ماؤها وآخرون يذهبون إلى أنها بقايا حقل نفطي ورغم الاختلافات الكثيرة في تفسير وجودها إلاّ أن الناس كلّهم وبلا استثناء يُجْمِعون على قول واحد يتعلق بوحشية الجراد الأسود عندما أودعها خمسة وعشرين جثةٍ لبشر مغدورين من كافة الطوائف والأعمار ومن كلا الجنسين.

بالنسبة لنا فقبل عام ٢٠٠٣م كُنا نمرُّ مروراً عابراً على تلك الحفرة دون أيَّ اكتراث سوى الفضول بالاستماع إلى القصص والحكايات التي تُنسج حولها فكانت أمّهاتنا في طفولتنا يرعبننا بالحفرة لننام مبكرين، إلى أن صرنا إلى هرج ومرج بعد الاحتلال الأمريكي حيث قاوم بعض السكان الغزاة لدوافع مختلفة فمنهم مَنْ كان من أزلام النظام المخلوع ومنهم من كان يقاتل بشرف المواطنة الصالحة وهم قلائل

على كل حال وفي النهاية يضطرون إلى الإلتحاق بأحد الفصيلين إمّا التكفيري أيام القاعدة أو بقايا أيتام النظام والذين بدورهم ذابوا مع القاعدة لاحقاً.

وفي تلك الحقبة التي كانت تسمّى بالمقاومة فإن أيَّ قتيل أمريكي يرمى هناك تخلصاً منه ومن هنا بدأت الحفرة تتحول إلى مقبرة لا سيما مع استثمار حجم قطرها البالغ مائة متر وعمق مترامي لا قرار له وهو على الأرجح وهذا رأيي مكاناً خلّفه نيزك أو ما شابه، لكنّ الأكثر سوءاً في تأريخ الحفرة يُؤرخ من حقبة الجراد الأسود الذين وظّفوا الحفرة كمبدأ يؤسسون عبره الخوف داخل النفوس.

إذ كانوا يَعْمَدون مع كل حفلة دم أن يدعون إلى اجتماع الناس عندها لمشاهدة الفضائع التي يفعلونها مع ضحاياهم، وكان الناس مكرهين على الحضور والتواجد لمشاهدة حفلات الدم وبخلافه سيكونون طعاماً للحفرة بدورهم أيضاً.

وفي واحدة من أقسى المشاهد التي حضرتها كانت لحظة اعدام ثمانية جنود وقعوا بين فخاخ الجراد الأسود واتُهموا بالخيانة للخلافة، ولم يكتفوا بإعدامهم بل عمدوا الى إحراقهم وإلقائهم في الحفرة، ولم ينتهِ أمر حفلات الدم عند هذا الحدَّ من القسوة بل تعدّاه إلى ما هو أفضع.

فجاءوا بعائلة مكوّنة من الأب والأم وأبنائهم الثلاثة ممّن رفضوا نهج القتلة إذ كان الأب وأولاده يتخلفون عن الصلاة معهم لعدم قناعتهم، الأمر الذي أشعر الجراد الأسود بالدونية وبالابتذال ودفعهم إلى قتل الأبناء أولا ثُمَّ الأب وأخيراً الأم

في مشهد مؤلم وقاس وكأنهم يُعيدون التأريخ إلى نصابه كيوم مقتل آل عمار بن ياسر على أيدي أجدادهم، ولا تنتهي الفواجع عند هذا الكلام فإلى اليوم وبعد عمليات التحرير لحمام العليل باعتبارها آخر أوكار الجراد على يد قواتنا الأمنية وأبنائنا من الحشد الشعبي الذين ما ادّخروا جهداً ولا مالاً ولا روحاً إلاّ ووضعوه من أجل النصر ودحر الجراد الأسود.

أقول حتّى هذه اللحظة تبقى حفرة الرعب شاهداً على القتل والخسَّة ومازال قُطر الحفرة من كلّ الجهات يحتفظ بدم الضحايا المتجمد والذي يأبى الزوال توثيقاً للضحايا الأبرياء.

هروبٌ جماعي

منذ صعود الطاغية المخلوع إلى السلطة لم نذق طعماً لراحةٍ أو لاستقرار، فبمجرد أن تكون خارجاً عن خطوطه تكون عرضة لقتل بشع كما حدث مع أبناء عمّتي الخمسة حين اتهموا بالعمل على زعزعة أمن سلطته ليقتلوا تذويباً بأحواض حامض النتريك، وهو أسلوب دنيء لتصفيه المعارضين، ولم يسلم أبناء خالي الأصغر عمراً من الشهداء المغدورين حين أعدموا رمياً بالرصاص أمام أعين الجميع في قرية الشيرخان لأنهم رفضوا الالتحاق بحربه الغاشمة في الثمانينيات.

واستمر الحال سوءاً عاماً بعد عام بحيث وصل الدور إلى عائلتي فبعدما هرب أخي من الحرب وسط مخاوف أبي الشيخ المريض وقلق أمّي وبكائها وإلحاحنا عليه بالعودة إلى الموت قال متحدياً:

- الموت هنا هو ذاته الموت هناك، بفارق أن الموت هنا كرامة وهناك مهانة، الموت هنا رفض للموت وأنا ثائر، والموت هناك قبول له وأنا صاغر.

لم يدم بأخي الحال حتّى وشى به جارنا ليلاقي حتفه كخائن ومتخاذل. أن موت أخي هزّ ضمير العائلة وقسّمها إلى شقين أحدهما يضع اللوم عليه لأنه كان بالإمكان

تجاوز هذا المصير الذي أضّر بنا والآخر كان مع موقفه، أما بالنسبة لي فقد كنت أقف بين أمرين، فمرة أبرر هروبه وأخرى أدينها وذلك التردد سيبقى سمة تلازم حياتي.

بعد موت أبي بسكتة قلبية نتيجة الشيخوخة ورثتُ عنه عائلة مكونة من تسعة عشر فرداً ما بين أم وأخ وأخت وزوجات أخوة وأبنائهم ولم أزل في الخامسة عشر من العمر.

وكنت أعمل مع أحد أقربائي في ترقيع إطارات السيارات أو ما يسمّى شعبياً بـ((بنچرچي)) فاقترح عليّ ذلك القريب بأن أتعلم قيادة الشاحنة كملاذ للهروب من الموت قدر المستطاع ففي الجيش الذي هو مطاردي لا محال ستكون فرصة الحياة أوفر فيما لو كنت سائق إيقا من جندي مشاة، وهكذا أنقذني قريبي من الموت إبان حرب الثمانينيات وصرتُ سائقاً ماهراً وهذا الأمر خدمني لاحقاً في كثير من مواقف الحياة التي عشتها.

في الحروب يكون الموت عشوائياً ولا هوية واضحة فيه فالجميع أمام الموت سواء. وقد كنت شاهداً على مآسي الجنود وقصصهم الحزينة ولن يكون بمقدوري نسيان تلك الليلة التي رافقتْ خسائر نهر جاسم وكيف امتلأت الشاحنة بعشرات الجثث المتراصة بعضها فوق بعض وكيف إن بعضاً من الجنود كانوا أحياء يقاومون الموت وكان بالإمكان إنقاذهم لو تمَّ التعامل معهم باحترام، لكنّ الأوامر كانت تؤكد على مسألة في غاية السخف تتعلق بقدرة المصاب على المشي والاعتماد على نفسه إذا ما أراد النجاة خلافاً للذين إصاباتهم تعيقهم عن الحركة فهؤلاء كلٌّ منهم بقدره فيما إذا عاش أو مات!!، وبالنسبة لشاحنتي فجميع المصابين ماتوا أثناء الطريق إما بسبب

استمرار النزيف أو الاختناق جراء تراكم الجثث الأخرى عليهم أو لأقدارهم.

ولم أكن أعلم بأن التأريخ سيعيد نفسه مع سقوط مدينة الموصل ودخول التنظيم الإرهابي الذي بدأ يقتل بعشوائية ظاهرة فالجميع كانوا ضحايا من كل القوميات والنحل ولم يسلم أحياناً منهم مَنْ هم على نفس ملتهم.

لقد صارتِ العائلة المكونة من تسعة عشر فرداً قرية صغيرة بتعداد سبعة وسبعين نَفَساً مع مراعاة تحديث واقع العائلة المتراوح ما بين شطب الأموات وإدراج المواليد الجدد فيها، ووجدت نفسي جَداً لطفلتين جميلتين لأبني البكر حسن صاحب الثلاثين ربيعاً.

استذكرت العائلة قسوة العقود الماضية فإمّا أن نهرب من الموت وأمّا أن ننتظره في ديارنا ولكن هذه المرة على طريقة الدواعش. فصار الإجماع بالهروب من الموت جماعياً لا سيما بعد وصول أنباء إجرامهم مع الناس. والغريب أن بعضاً من سكان القرية رفضوا الخروج منها، بل كانوا مرحبين بقدومهم إلينا وتعاونوا معهم وأسفي عليهم لِمَا فعلوا.

لقد كان عملي كمزارع بمعيّة أفراد الأسرة في قرية الشيرخان يستدعي مني شراء شاحنة حمل صغيرة ليتسنى لي دفع المحاصيل إلى السوق وكنت قد اقتنيت عدة سيارات لهذا الأمر، لكن الاختيار استقر على سيارة كيا ٢ طن وكانت تفي بالغرض، لكن عندما يتعلق الأمر بالهروب سأجد صعوبة مع حجم العائلة الكبير.

وقُبيل الفجر ومع الإستعداد للصلاة فوجئنا بالرمي المتزايد متداخلاً بصراخ ملأ أرجاء المكان وقد أيقنّا بأن الهروب لا مناص فيه وهكذا صرنا إلى هرج ومرج وفوضى يتداخل فيها بكاء الأطفال وعويل النساء وصراخ الرجال من أجل حثّ الخطى على التوثب إلى سيارة الكيا وقد حُشر الجميع فيها حشراً، لم نأخذ معنا أي شيء من وثائق العائلة ولم نستطع حمل أمتعة متعلقة بقضايا النوم وكذلك لم نحمل أيَّ طعام، لقد هربنا بملابسنا فقط وبعضنا هرب حافياً.

وبالنسبة لشاحنة مثل شاحني بإمكانها أن تتحمل كتلة الهاربين لكن المشكلة كانت بالإكتضاض والتدافع. خرجنا متوجهين إلى أقرب منفذ للخلاص وكان من حسن حظنا أن خزان الوقود ممتلئاً قبل يوم واحد من الهروب.

وهكذا امتدت بنا المسافات إلى حيث تأخذنا عجلات الكيا وقَدَرنا. ولم نكن نعرف إلى أين نتوجه خصوصاً مع ترافق الفوضى في محافظات صلاح الدين وجنوب كركوك فصارت نقاط الهروب متوترة إلى بغداد، إذن علينا التوقف في أربيل لبعض الوقت ريثما نجد حلاً.

لم يطل بنا المكوث في أربيل لأسباب كثيرة ليس أهمها سوء التعامل من بعض البشيمركة، فقد كانت هناك أسباباً ليست محل ذكر هنا.

لقد بدأ الجوع يغرز سكاكينه في البطون الخاوية وكان الأطفال أقل تحملاً من الكبار بالضرورة حتّى وصلنا مرحلة بدأنا نأكل الحشائش من الطرقات التي نمرُّ بها، وكنَّا نقتصد بالماء جهد ما نستطيع دون أن تكون لدينا وجهة محددة فنحن نهرب من موت الدواعش إلى مصير مجهول.

دخلنا بغداد بشق الأنفس من جهة محافظة ديالى بعد أن سلكنا طرقاً وعرة كثيرة أسهمت بنفاذ الوقود لكنّ بعض الخيرين جمعوا لنا مالاً استطعنا به إعادة تعبئة السيارة فضلاً عن شراء الخبز لباقي الرحلة.

وفي بغداد اضطررنا المكوث في منطقة جميلة في إحدى المدارس وقد أسهم الناس هناك بترتيب أوضاعنا بما يستطيعون فقد حملوا لنا الطعام والملابس وأغطية النوم، شغلنا صفّين من المدرسة وهو خيار أفضل من المبيت في السيارة حتماً مع هاربين آخرين من مناطق أخرى.

ولكن البقاء في هذا الوضع لن يخدم استقرارنا لا سيما أن ثَّمة دعوات حكومية تشير إلى إمكانية إخراجنا من المدارس لقرب العام الدراسي.

إجتمعتِ العائلة وفكرتْ بقرار خروج جديد لأن البقاء في العاصمة غير مضمون النتائج وصرنا في حيرة من أمرنا إأين نذهب بهذا العدد من الأطفال والنساء والبطالة فالحكومة لم تخصص لنا ما يكفي من المال بل اكتفت ببعض المساعدات العينية.

أخيراً قررنا الذهاب إلى ملاذ الفقراء وأبي الضعفاء علي بن أبي طالب عليه السلام فهو نِعْمَ الخلاص ونِعْمَ النصير، وآمّنا بأننا هناك سنجد الحياة بعد فقدانها لأربعة أشهر بالتمام والكمال. شدّتِ العائلة رحلها إلى حيث جنة الله دون ترتيب مسبق وقد أوقفتنا نقاط التفتيش كثيراً تارة للتفتيش وأخرى للاستفسار وثالثة لأسباب أمنية وقد طال بنا الطريق الى سبع ساعات وهو زمن طويل على المسافة ما بين بغداد والنجف.

وصلناإ ضريح سيد الاوصياء قبل حلول المغرب وكانت الصلاة على وشك البدء. افترشنا الأرض بانتظار الخلاص. وإن هي إلا بضع دقائق مرَّت حتّى مرّ رجل طويل القامة متشحاً بالسواد ذو نور مشع.

- لقد نجوتم بفضله، وستحصلون على السكينة طالما أنتم هنا، هيا معي إلى بيت قريب من حضرته يسعكم وسأعمل على ترتيب أوضاعكم في غضون أيام.

قال لنا الرجل النوراني الذي لن نعرفه مَنْ يكون وحين سألناه عن كيفية معرفته بحالنا اكتفى بالابتسامة فقط وطالبنا أن نواصل الطريق معه، وبالفعل أخذنا إلى بيت استقرت به العائلة وبعد يومين جاء رجل آخر محملاً بالمساعدات وبالمال وقال:

- أرسلني صاحب الأمر ويقرؤكم السلام ويقول أنتم هنا في ضيافة الملاذ الآمن حتامَ تشاؤون وغداً ستنقلون إلى بيت آخر في حي لا يبعد من هنا كثيراً.

وبعد أن تَمَّ ترتيب وضعنا من قبل الرجل الثاني لم ينسَ التأكيد بأنه لا يتعين علينا التفكير بمتعلقات الإيجار فأنه سيدفع كلَّ شهر فاتورة البيت والكهرباء دون أن يمرّ بنا، وفي حال حاجتنا لشيء فسيكون بمقدوره سماعها وعندها سيأتي إلينا.

مشتْ بنا الأمور بشكل طيّب وبدأنا نعمل وأعدنا أولادنا إلى المدارس وشعرنا بالاستقرار والسكينة مع كل مجيء نحتاج فيه الرجل والذي سألناه أيضاً عن كيفية معرفته بحاجتنا ليجب مبتسماً:

- دعوا الأمر له فهو كفيلكم ولا تسألوا عن ذلك مجدداً.

فهمنا بأن الرجلين لا يريدان الإيضاح عنهما لأسباب نجهلها لذا اكتفينا بالسؤالين فقط ولم نكررهما أبداً، وكنّا نتابع أخبار التحرير ومقدار ما صنعته فتوى المرجعية الرشيدة من تغيير على الأرض في ميزان القوة حتّى إذا صار النصر باتاً وواضحاً وقررنا العودة إلى ديارنا في ذلك اليوم العاطفي الشديد البكاء والحنين إلى النجف ومرقد ملاذ الفقراء وإذا بالرجل النوراني الذي ظهر لنا أول يوم وصولنا يظهر ثانية:

- انتهى هروبكم أيها الأحبة بعد أن كنتم في ضيافته، ومع عودتكم ستكونون رسالة ناطقة للأجيال لتروا أبشع الفضاعات بحقكم، عودوا برعايته وحفظه.

قال ذلك واختفي إلاّ أن صوته ما زال يوقد فينا الأمل إلى اليوم.

رأس المحارب

كان صباحاً سيئاً جداً حين وصل سمعي مقتل صديقي نجم الجحيشي على أيدي الأوغاد عند ساحة (عبو اليسو) لأنه منتسب في الجيش العراقي، حدث ذلك بعد سقوط الموصل بين براثن داعش.

كان نجم رجلاً وديعاً وخفيف الروح وهو من عائلة نظيفة ولم تتلوث بأيِّ سوابق سياسية أو دينية متشددة. وكان يروم الزواج بإحدى قريباته لولا حادثة السقوط التي جعلته أمام أمر واقع بالتريث والانتظار.

فقد جلس في البيت بعد سقوط المدينة وظنَّ بأنه في مأمن من داعش، ولأجل إبعاد احتمال موته كان لا يخرج إلا بالقدر الضروري لقضاء حاجة مُلّحة فيما يقضي جلّ وقته في البيت يراقب الوضع العام للمدينة عن بُعد.

أتذكر بأنه قبل موته بثلاثة أيام جاءني مساءً إلى البيت للسؤال عني بعد أن تناهى إلى سمعه بأنَّني أصبت بطلق ناري عشوائي أثناء مروري قريباً من جامعة الموصل إثر خلاف نشب بين عنصرين من أبناء المدينة ممّن ألتحق وتعاون مع الإرهابيين وهو عموماً أمر حصل كثيراً هنا، وأستطيع القول بأن الأغلب الأعم من الناس رحبوا

بالقتلة ووقفوا معهم بل وأسهموا بتثبيت أسسهم، ولكن لات حين مندم بعدما أوغل الدواعش فتكاً بهم وبأعراضهم.

على أيَّة حال عرفت لاحقاً بأن خلاف الرجلين كان بسب فتاة أيزيدية مسبية وأيُّهما أحق بامتلاكها جارية!! لكنني ومن حسن الحظ لم أُصب إلاّ بنحو عارض فقد تداركت الرصاص بعناية السماء أولا وخفة حركة جسدي ثانياً بحيث جاءت الإصابة عابرة في ساقي اليمنى.

في تلك الزيارة وبعد أن رويت له ما سمعته بخصوص خلاف الشخصين حول الفتاة البريئة قال لي نجم:

- والله يا أخي مثل هؤلاء عالة على الدين وهم يشوهون دين الله.
- نعم، أخي ولكننا لا حول ولا قوة.
- أشعر بالعار حين أجد الإرهابيين يتحكمون بنا.
- وأنا كذلك ولكن ما الحيلة؟
- بالإمكان التحرك عبر المقاومة الشعبية ضدهم بطريقة المجاميع الصغيرة، بالأمس كنت مع أحد أصدقائي ممّن تربطني به عرى صداقة وطيدة وهو من السادة الأشراف اسمه سيد علي الحسيني، وقد تكلمنا بخصوص تلك الفكرة.
- الأمر صعب يا أخي فلا إمكانيات متوفرة من مال وسلاح وأهم منهما الروح المندفعة للقتال.

- إسمع يا أخي ما قاله لي سيد علي وفكر به جيداً ((إن الله يمتحن البشر في أوقات المحن بأقسى درجات التمحيص ليرى مَنْ هم عباده الصالحين)) وأنا أرى نفسي ملزماً أخلاقياً وشرعياً ووطنياً بالتفكير جديا بما قاله السيد علي الحسيني واستثمرُ علاقتي السابقة بأفراد الجيش والشرطة عسى أن نفعل شيئاً فيكفي صمتاً وخوفاً.

- هل تعتقد بأنك ستنجح؟

- لا بدّ من بذرة أولية لتنمو إلى ثمرة ولا بد من شرف المحاولة. هل ترغب بالانضمام إلينا؟

اختتم كلامه وخرج محمّلاً بأمل كبير من أجل استعادة الحياة من الظلام ودفعها إلى سابق سيرها، بعد صمتي عن الرفض أو القبول.

عاد في اليوم التالي ليضعني في تحركاته الجادة وكيف تواصل مع ثلاثة من أصدقائه ممَّن يعيشون المحنة ذاتها وكيف أنهم مسرورون بخطوة السيد علي الحسيني وداعمون لها لا سيما وهو رجل من الثقاة. وقد كرر عليّ دعوته بالانضمام إليهم.

- إنهم من الثقات يا أخي، أرجوك لا تخفْ، فمهما تكون النتائج سنموتُ بشرف، وهو أفضل من هذا العار الذي نحيا به.

قال لي ذلك بعد أن وجدني متردداً من اللحاق بهم، كنت في الحقيقة قلقاً من اندفاع نجم الغريب هذا فهو كان متحفظاً من أي رأي يبديه وبالكاد كان محافظاً على نفسه من داعش الذين اعتقلوا كثيرين مثله وهناك من أعدم، غير أن اندفاعه الكبير

هذا مع السيد الحسيني يؤكد حتماً مقدار الثقة والتفاؤل بالنصر، ومع ذلك بقيت متردداً إزاء الإلتحاق بدعوته ولا أعرف لماذا؟

عند هذا الصباح الغادر وأثناء خروج نجم نحو عمله الدؤوب لتجنيد رفاق آخرين إلى قضية المقاومة الشعبية ضد الدواعش فوجئ بأن سيارتين من الإرهابيين أوقفوه عند ساحة عبو اليسو وأنزلوه بقوة أمام مرأى الناس الصامتين عن التعليق ولو بكلمة ليبدأ معه التحقيق علناً بعد أن عصبوا عينيه وشدوا وثاقه :

- نعرف أنك تتحرك منذ ثلاثة أيام لتجنيد الخونة ضدنا.
- مَنْ قال لكم ؟
- هذا شأن يخصنا، هل أنت جاد في تحريض الناس ضدنا؟
- نعم.
- ولماذا؟
- لأنكم قتلة ولستم من الدين بشيء وأنتم مجرمون أوغاد.
- هل تعي خطورة ما تتكلم به؟
- نعم
- إذن انتظر عقابك أيُّها المرتد.

أجابه رجل ذو لحية حمراء كثة وأغلق فم نجم بقطعة قماش لئلا يتكلم أكثر فأكثر.

إجتمع على أمره القتلة واتخذوا قراراً سريعا بقطع رأسه لإجهاض فكرة المقاومة فيه لئلا يشكّل خطراً على تواجدهم وهكذا قطعوا رأس صديقي نجم الجحيشي أمام الناس بعد أن أعلن أحد القتلة عن نية نجم بخلق الفوضى في المدينة وهذا الإعدام رسالة لكلَّ مَنْ تسول له نفسه العبث بالأمن.

الغريب أن الدواعش حينما قرّروا قطع رأسه كانوا يعتقدون بأنهم سينهون أيَّ تمرد محتمل ضدهم. لكن رأس نجم لحظة انفصاله عن جسده تكلم بطريقة أذهلت جميع الحاضرين حين قال:

- قد تقطعون رأسي ولكن لن تقطعوا المقاومة من رؤوس الآخرين، رأسي أوقد الشرارة فقط، وثمّة حريق سينتج عنه ويحرقكم بنار جهنم أيُّها السفلة، إن ملهمي السيد علي الحسيني سيلهم من بعدي غيري فانتظروا الغد وكونوا هباءً منثوراً.

قال رأس نجم ذلك الكلام وأرعب الحاضرين جميعاً وقد دفع ببعضهم الهرب خوفاً من معجزة كلام الرأس المقطوع فيما أمر كبيرهم بحرق الرأس للتخلص من ثرثرته.

والذي روى لي تفصيلات الحادث كان أخي الوضيع الذي أوشى بنجم لأنَّه كان يستمع لأحاديثنا، وشى به طمعاً بجائزة من الدواعش الذين كافأوه لاحقاً بأربعين جلدة لأنه لم يستطع العثور على سيد علي الحسيني وقد فاتهم بأن السيد فكرة متجسدة في قلب كلَّ مؤمن بالوطن كما قال لي الشهيد نجم.

وإن أخي حين عجز من العثور على شخص الحسيني وشى بي أيضاً إلى القتلة على أمل حصولهم مني على خيط يدلهم عليه، وبعد أخذ ورد في الكلام طال لأسبوع تعرضتُ فيه لأسوأ أنواع التعذيب والتنكيل، بدأت طلائع الفجر تنبثق مع بدء عمليات التحرير فقلت لهم:

- مَنْ تبحثون عنه جاءكم بنفسه.

حين سمعوا مني خلاصة القول لاذوا بالفرار إلى حيث لا رجعة، فيما انتهى أخي بعد التحرير بعد أن شعر بالندم على وشايته بنجم إلى الجنون وهو الآن في مستشفى الأمراض العقلية والنفسية ببغداد وهي نهاية يستحقها.

لقد صار رأس نجم أيقونة للحق والشرف فيما صار رأس أخي الواشي مضماراً لتمرير الكهرباء والحُقن وتلك عدالة السماء التي تعطي كلَّ إنسان بمقدار فعله.

ليلة الدم

لا مناص من الحزن بالنسبة لنا نحن الشبك فقد صار بمثابة روتين معتاد. وكم من الآهات أحاطت بقلوبنا، وخط الشيب شعر رؤوسنا، وكم من سواد عاش معنا كهوية دالة علينا، وكم من موت داهم الملة تعجز اللغة عن الإتيان بما يؤرخ فواجعها.

لكن يبقى موت صالح جمعة جرحاً في هويتنا ونقشاً محفوراً في صخر ضمائرنا، وفقداً محسوساً في نبض قلوبنا.

صالح جمعة الكوكجلي كما يُعرف من قبل أصدقائه في جامعة الموصل شاب لطيف المعشر وخفيف الظلّ ولم يسعفه وضعه المالي ليكون بارزاً بين أقرانه فوجد ضالته بنعمة الذكاء المفرط ليعوّض بها سطوة وحضور المال، فكان الطالب الألمعي في درس اللغة العربية ونجح بامتياز عالٍ ليتأهل إلى الدراسات العليا.

خططتْ أمُّ صالح بعد مشاورة مع أخواله لأنَّه كان يتيماً ويعيش في كنفهم، خططتْ لتزويجه من ضحى التي تصغره ببضعة أعوام وقد تبنى أخواله هذا الخيار سيما هي بالنتيجة ابنة خالته.

لقد تزامن موعد خطوبة صالح من ضحى مع الأيام المخصصة لتقديم أوراق القبول في الدراسات العليا، وهذا كان يستدعي التأخير لبضعة أيام بحكم بعد المسافة بين الجامعة وقرية كوكجلي، الأمر الذي أخرّ يوم إعلان الخطوبة.

وكان صالح على معرفة جيدة بضحى بحكم درجة القرابة ولكنه كان يوصيها بأمّه ويؤكد على إنها أولا في كلّ شيء وذلك الأمر لم يُغضب ضحى كثيراً فقد كانت متوافقة معه بهذا الرأي.

في بداية حزيران من عام ٢٠١٤م وبينما كان صالح يواظب على التواجد اليومي في الجامعة شعر بشيء من الملل من قضية الذهاب والإياب وقد شكى ذلك لأحد أصدقائه الذي بدوره تفهم ملل صديقه واقترح عليه أن يبات عنده في حال شعر بتأخر الوقت. وكان عبد الباقي يقطن في الساحل الأيسر من المدينة وقد ارتبط بعرى صداقة حميمة مع صالح.

إن اضطرابات المدينة التي كانت واضحة للعيان والمتعلقة بفوضى محتملة ربما تخلل الوضع الأمني لم تمنع صالح من التواجد في الجامعة بغية إنجاز أوراق الدراسات التي فضّلها على أمر خطبته. وقبل يوم واحد من سقوط المدينة قالت له خطيبته ضحى بأن عليه أن يتريث قليلاً بالذهاب إلى هناك فالأوضاع لا تشي بخير، وقد استغرب صالح من كلامها وسخر به حين قال لها:

- أيُّ الاحتمالات تحدث فأنا لست جندياً أو شرطياً ولا ثأر لأحد معي، فضلاً عن وجود عبد الباقي كأخ وصديق وسند في الأوقات الصعبة.

- عسى أن أكون مخطئة في ظني.

- هو الحافظ يا ضحى لا تقلقي لقد أنجزت كلَّ شيء واليوم آخر ترتيب إداري لي وسأبقى هنا حتَّى شهر تشرين لأبدأ الدرس من جديد.

- برعايته إذن.

ودعته بقلب كان يستشعر أمراً غريباً عليه، وكانت أمُّه معها وقد قبّل يدها ورأسها بقوة شاكراً لها كلَّ الجهد الذي بذلته من أجل تربيته بعد موت أبيه وكيف أنها ضحّت بحياتها ولم تتزوج من أجله رغم طوابير الأزواج وقتها.

أنجز كلَّ متعلقاته الإدارية وخرج يتجول في المدينة حتَّى وقت متأخر من النهار وقد قرر الإتصال بعبد الباقي الذي رحّب بدوره بمجيء صديقه إليه وقد التحما عناقاً وكان سعيداً بهذا اللقاء الذي سيستذكران عبره أوقاتاً عاشاها معا. كما أن على صديقه المبيت فالوقت تأخر للعودة إلى قرية كوكجلي.

أخبر صالح خطيبته بمبيته عند عبد الباقي وألاّ تقلق من عدم عودته وعليها إبلاغ أمّه أيضاً.

جلس الصديقان أمام التلفاز وبدأا نقاشاً في الراهن السيء للمدينة ولكنّ الحوار خرج عن أدبياته عند الوصول إلى حقيقة الإيمان الذي يطرحه التكفيريون وكيف هو منافٍ لأصول الدين، كان موقف عبد الباقي أقل تطرفاً بالدفاع عنهم خلافاً لأخيه عبد الصمد الذي كان مدافعاً شرساً.

الأمر الذي استشعره عبد الباقي كمؤشر على توتر الجلسة ممّا أفضى به إلى الخروج بصالح خارج البيت. وأثناء الخروج ترافقت الفوضى في المدينة وسُمعتْ

أبواق السيارات تتداخل مع الإطلاقات النارية وفوضى الصراخ فالوضع دخل حالة غير مألوفة على حياة الناس ومع سماع أصوات الانفجار ومشاهدة العشرات من الجنود الهاربين تبيّن أن المدنية وقعت بأيدي المتطرفين وهي ماضية نحو الموت لا محالة.

كان الملفتُ أن نسبة غير يسيرة من الناس كانوا مُرحبين بداعش وساعدوهم في الانقضاض على الجنود حيث قاموا بإمساك مجاميع منهم وسلّموهم للقتلة كما قذفوا رهطاً منهم بالحجارة والعصي والرصاص.

وسط تلك الصورة المرعبة التي أقلقت صالح كان عبد الباقي ثابتاً أثناء متابعته تلك الفوضى مع استغراب صالح منه حين خاطبه:

- ما الذي يدفع بالناس إلى مناصرة الباطل يا أخي؟
- إنهم ليسوا باطلاً، الباطل هم القوات الحكومية وهي غازية لأرضنا.
- ماذا تقول يا عبد الباقي إنهم جنود مكلفون بالدفاع عن الوطن
- إنهم مرتزقة ولا رحمة إزائهم

كان عبد الباقي يتكلم بجفاء غريب ولم يكن هو ذاته عبد الباقي قبل هذا الوقت.

- هل تعي خطورة كلامك يا عبد الباقي أنت في الخندق التكفيري الآن
- أينما تصنف وجودي فهذا شأنك، أنا مع الوضع الجديد

- وأنا ضده، وسأغادر عائداً إلى قريتي.

- لم يعد بإمكانك العودة فأنت مشمول بالعقاب أيضاً

تفاجأ من وجود عبد الصمد مسلحاً خلفه وكلامه وسط صمت عبد الباقي

- ماذا تقول يا صمد هل أنت جاد في ذلك؟

- نعم، أنا جاد جداً. وأنا انتظر هذه اللحظة التي عشتها مع القاعدة. أنت مرتد عن الملة ولست على دينها.

- وهل أنت تقف على الصواب في ديننا؟

- استعد لموتك.

قال ذلك وضرب صالح ببندقيته على رأسه فأغمي عليه، وبعد وقت من استفاقته وجد نفسه مربوطاً على عمود إنارة والعشرات من الناس يحيطون به.

- ماذا يجري يا عبد الباقي؟

قال مستفسراً من صديقه الذي لاذ بالصمت دون أن يبعد عينه عن عيني صالح

ولم يمرَّ وقت حتى صرخ عبد الصمد:

- أقيموا العدل بهذا المرتد.

تدافع الناس بالعصي والحجارة والفؤوس تطبيراً وتمزيقاً بالرجل واستحال إلى نهر من الدم المتدفق على الرصيف وسط تكبير الناس وحماستهم. ولعله من حسن

الحظ أن يموت صالح بتلك السرعة القياسية بدل الألم والوجع.

وأنا أكتب قصة هذا الطالب المجتهد الذي كان يطمح ليكون شيئاً بناءً على شهادة خطيبته التي بدورها سمعت تفاصيلها من أحد الثقاة ممَّن كان يراقب عن بعد مشهد القتل، ومع كل جملة ترويها ضحى تكرر لازمة القول، لا مناص من الحزن بالنسبة لنا نحن الشبك فقد صار بمثابة روتين معتاد، وكم من الآهات أحاطت بقلوبنا، وخط الشيب شعر رؤوسنا، وكم من سواد عاش معنا كهوية دالة علينا، وكم من موت داهم الملة تعجز اللغة عن الإتيان بما يؤرخ فواجعها.

لكن يبقى موت صالح جمعة جرحاً في هويتنا ونقشاً محفوراً في صخر ضمائرنا، وفقداً محسوساً في نبض قلوبنا.

يدٌ من غضب

روى لي أخي العائد من الحرب مع تنظيم داعش الإرهابي عن صديقه الجندي الذي استشهد في المعركة الأخيرة التي دخلها مع الآلاف من الجنود دفاعاً عن الأرض والعرض في شمال الوطن حين وقف ذلك الجندي الشجاع فوق سور المدينة الأثرية التي احتمى بها الأوغاد ورفع راية الوطن بين عينيه.

لقد لجأتْ فلول التنظيم الإرهابي بعد هزيمتهم إلى المدينة الأثرية وهي من المعالم الحضارية لبلدنا من أجل إحراج الجنود لئلا يقتلوهم وكان أغلبهم من جنسيات غير عراقية وهم مرتزقة ومقاتلون من أجل المال.

في الوقت الذي كان أخي وزملاؤه يدافعون عن المبادئ والوطن وجاءوا استجابة لفتوى الجهاد المقدس لذلك كانوا أكثر صموداً وشجاعة واقتداراً من أولئك المرتزقة لأن مَنْ يقاتل من أجل الوطن بعقيدة خالصة لله ينتصر.

كان صديق أخي المدعو رزاق ناظم حمد يقاتل بيد واحدة فقط وقد تطوّع بالرغم من اعتراض الضباط لوجوده بينهم لأنّه بيد واحدة والقوانين لا تسمح بذلك لكنّه رفض إلاّ أن يكون مع إخوته في القتال وهكذا تطوّع مجاناً لنصرة الوطن.

وقد كان يقول دائماً بأن اليد الواحدة تكفي للقتال مثلما تكفي في الكتابة وصحيح هي لا تصفق ولكنّها تصفع خصوصاً إذا كانت اليد من غضب.

رفع رزاق الراية فوق سور المدينة الأثرية أثناء القتال الشرس الذي دار بين المجاهدين والإرهابيين وبقى على تلك الحالة يشدّ من عزيمة أصدقائه ويصرخ بهم ليدفعهم نحو القتال العنيد. وصار نموذج المقاتل الغيور والمحب للوطن.

ووصلت بطولات رزاق وصولاته وتحريضه الدائم للجنود من أجل القتال والنصر على الأوغاد إلى أوسع مدى، تلك الأنباء أزعجت وثن التنظيم الإرهابي ورأسهم الكبير وقال:

- إن هذا الرجل نقمة علينا وهو ينازعنا أمرنا بيد واحدة، فما بالكم لو كان بيدين اثنين!! فمن يعالجه له ثواب الدنيا والآخرة.

انبرى الأوغاد يتدافعون للتقرب زلفى، فقرر أن يكلف واحداً من أكثر الإنغماسيين أمية وجهلاً وقال له:

- الرجل ذو اليد الواحدة شجاع ومتمرس بالدفاع عن نفسه وهو مقاتل عقائدي شرس ولا سبيل لمعالجة أمره إلا بحزام ناسف فهذه أسهل الطرق.

قال كلامه الموجه لذلك الإنغماسي الذي خرج بدوره راكضاً تلبية لوهم الجهاد، ولم يمضِ وقت طويل حتّى وصلت معلومات عن رزاق من بعض المتعاونين تتضمن توقيت نزوله في إجازته الدورية فضلاً عن طريقة تحركه التي تكون بعربة مُؤمنة حتّى تخوم المدينة.

تَمَّ إعداد خطة مُحكمة بعد أخذ كلِّ التدابير والاحتمالات من قبل التنظيم الإرهابي للإجهاز عليه، وصادف أن يكون يوم إجازته صباح الجمعة التي يواظب على إدامتها بالصلاة طبقا لمقتضياتها، وكان رزاق في ذلك الصباح مورداً ونضرَ الوجه ورقيق القلب وخفيف الروح ولم تكن تنتابه أيَّة مخاوف أو أي احتمال بالموت غيلة.

نزل رزاق ليتمتع بإجازته الدورية وهو يحلم باليوم الذي سيتطهر الوطن من رجس داعش والخونة الذين استنزفوه إهمالاً وسرقة وعَمَالة، وما هي إلا دقائق مرتْ بسرعة حتّى تلاشى جسد رزاق في الفراغ وسط انفجار أجج الغبار وشتت الجميع، وقد صار الناس إلى الفوضى والإرباك.

وبعد انتهاء الإنفجار فوجئ الناس برأس ذلك الانتحاري الإنغماسي وهي مرمية على بعد مسافة الرصيف وثمَّة يد جبارة تمسك برقبتها وقد خنقتها.

كانت تلك يد رزاق الذي لم يعط الفرصة لقاتله أن ينتصر عليه فبادر إلى خنقه بعد أن شعر بمكيدته حين سأله عن طريق العاصمة، فصارت يد الشهيد رمزاً للغضب واستحقت أن تُكرّم بنصب كبير في مكان استشهاده بعد التحرير.

حقدٌ أعمى

إعتدنا الإيمان منذ الصغر بأن لكلّ إنسان قدر يناسب باطنه، وتلك من تقديرات الغيب، ومع سنوات العمر الآخذة بالزيادة طردياً يتجذر السؤال الآتي بقوة في ذاتي.

- لماذا يلازم بعض البشر عوق ولادي يقطع عليهم التواصل السوي مع الحياة؟ وهل هم مذنبون ليكونوا على تلك الهيئة؟

حقيقة لم أحظ بإجابة طيلة ثلاثين عاماً وكنت أحياناً أُبدي الشك فيما يتعلق بالعدالة بخصوص ذلك.

ولكنّ الحياة تُعطينا الوقت الكافي للتفكير بها والوقوف على أسئلتها مَلياً للحصول على إجابات.

في شتاء إحدى سنوات أواخر الحصار كنت أشاهد فيلماً سينمائياً ولا أتذكر الآن عنوانه. لكنّه ظلَّ متجذراً في داخلي لأنَّني تعلمت منه درساً بليغاً في الحياة. أتذكر فقط الممثل ارنولد شوارزينيكر بطلاً في الفيلم حيث كان قناصاً أجيراً يعمل لحساب شخصيات ذي نفوذ ومال. وكان قد كُلِّف باغتيال رجل أعمال ما، فاتخذ له من بناية قريبة من المصرف الذي يروم المطلوب زيارته موقعاً مناسباً لتنفيذ العملية

بمساعدة امرأة تجلس داخل المصرف الذي سيودع المطلوب فيه مالاً.

وكان التواصل بينها يتمُّ في الهاتف الجوال عبر البلوتوث، المهم في جدوى القصة هنا أن البطل يشعر بالملل جرّاء الإنتظار الطويل على سطح المبنى دون أن يصل الهدف. ومع الوقت يشعر بالقرف من مهمته وبينما كان يتصبب عرقاً من شدة القلق خوفاً من عدم مجيء الهدف وفشل المهمة، دار حديث بينه وبين تلك الجالسة في المصرف لقتل الملل فبدأ يروى:

((ذات إحدى ليالي الشتاء وبينما كنت أراقب وابل المطر من نافذة بيتي وجدت عصفوراً يقف أعلى غصن متدلٍ من شجرة بائسة ويرتجف من البرد فقلت في نفسي بأنَّه عليّ تقديم العون. فقررت الخروج لجلبه إلى البيت وفيما كنت أرتدي البرنس وأتهيأ لأخذ المظلة ظلّت عيناي نحو العصفور وفي لحظة من غفلة الزمن سقط العصور وقلت في سري لقد مات! ومع ذلك خرجت صوبه.

وفي تلك الأثناء جاءت عربة يجّرها حصان جبار لم يكترث للبرد ولا للمطر سار قريباً من جسد العصفور فقلت في سري لقد سحقه! ومع ذلك بقيت أسير صوبه وصادف أن تغوط الحصان أثناء المسير حتى اجتاز الشجرة وحين وصلت رأيت غواطه يغطي جسد العصفور الذي بدا منتشياً بالدفء الذي حصل. عليه وهكذا أنقذ الحصانُ العصفور)).

اختتم (ارنولد) قصته وسط ضحك صديقته. وقد فهمتُ من فحوى الحكاية ما يلي، أحياناً ثمة مَنْ يتغوط علينا وهنا التعبير مجازي حتماً لكنَّه يقدم لنا خدمة كبيرة وهذا ما صار معي بالضبط لحظة سقوط مدينة الموصل وإليك الحكاية رغم طول المقدمة:

أنا المدعو كاظم عبد النبي أعيش في الساحل الأيمن من المدينة أباً عن جد وهي متجذرة في ذاكرتي دائماً بكل خير رغم ما عشته فيها من موت مؤجل.

كان عندي صديق طفولة وجار عمر يدعى عبد الستار قدوري وهو ضرير ولادياً وكنت آخذ بيده سنوات وسنوات لقضاء حاجاته حتّى صرتُ مثل ظلّه وهو كان يشعر بشيء من التوتر والإنزعاج كلما تحسّس عماه.

المهم في أمر عبد الستار أنه مضى في طريقهِ صوب التدين والاهتمام بقضايا الآخرة حتى نال درجة شيخ في علوم الفقه وصار إماماً وخطيباً لإحدى مساجد المدينة.

عند تلك الأحوال تكون الأمور جيدة، لكن السيئ سيبدأ الآن، ففي حقبة التسعينيات من القرن الماضي تحوّل عبد الستار إلى الخطاب السلفي المتشدد وبدأنا الإختلاف بخصوص قضية التوحيد والعدل وصفات الله والولاية التي كان ينكرها إلى آخره من المبادئ، وهذا الإختلاف تطور الى خلاف بمرور الوقت لينتهي بالقطيعة بيننا. حتّى جاءت لحظة تداعي النظام وسقوطه الدرامي ٢٠٠٣ ليتصدر فضيلة الشيخ قائمة المحرضين على كلِّ مَنْ رحّب وصفق وتعاون مع الإحتلال بالقتل.

طبعاً بالنسبة لي لا أنكر فرحتي بسقوط نظامٍ ظلَّ يُرعبنا لعقود، لكنَّني لم أُعلن موقفي خشية من ردود الأفعال التي صارت غير مضمونة من الآخرين تجاهنا نحن الذين نقف على الجانب الآخر من الدين.

عموماً بدأ فضيلة الشيخ يتنامى كصوت قوي وممثل عقائدي صارم للسلف الصالح ويتغول كثيراً حتى إنه أسهم بقتل العشرات من القوات الأمنية قبل سقوط الموصل بذريعة أنهم احتلال أيضاً عبر فتاواه. هذا الضرير سيتصدر الحياة كواحد

من أسوأ الذبّاحين ممّن مارسوا البطش والفتك بالآخرين.

حتّى جاء يوم التلاق بسقوط المدينة بين براثن داعش ليُعّبر فضيلته عن مدى حقده الأعمى الموازي لعاهته ويوغل ذبحاً بالناس وهذه المرة بيديه العاريتين من أيّ تقوى وقد سخّر المسجد كمذبح للخصوم.

كان يتحسس رقبة الضحية بفرح غامر وينتشي بأول لحظة يضع سكينه عليها بعد أن يربطوه بقوة ثُمَذ يبدأ بالتكبير والنحر ليتفجر شلال الدم الذي كان فضيلته يستمتع برائحته الزنخة بعد أن يضع أصابعه وسطه ويرفعها إلى أنفه لشمَّه. كان يشعر بأنَّه أمام تنفيذ واجب مقدس يُراد به الدفاع عن الله كما كان يقول بعد كل عملية نحر، وبعد سقوط المدينة ازداد نشاطه في الذبح حتَّى وصل بإحدى الأيام فتكاً بأربعين ضحية استغرق وقت نحرها ما بين صلاتي الظهيرة والعشاء.

ولم يتوقف الأمر عند أولئك الضحايا بل وصل لي الدور بعد أن تذكرني عبر أحد مساعديه الخبيثين حين قال:

- هل كاظم الرافضي ما زال موجوداً هنا أم خرج؟
- نعم فضيلتكم ما زال موجوداً وهو مشكوك في ولائه لدولة الخلافة
- هلُّموا يا أخوة الإيمان لنتقرب إلى الله بذلك الكافر
- قال فضيلته ذلك واعتبرها أنصاره بمثابة فتوى وأحضروني إليه
- فضيلتكم أنا صديق قديم ولي معكم رفقة حسنة لسنوات فهل يعقل أن أكون خصماً؟

- سألته بتملق عسى أن يُردع أخلاقياً مني، لكن للأسف أجاب بكل صفاقة:
- لم تعد صديقي منذ مروقك عن الصواب وارتدادك عن الملة أيُّها الكافر.
- مولانا أنا صديقك كاظم عبد النبي....
- وقبل أن أُكمل قاطعني:
- يكفني اسمك أن تكون عدواً فلا عبودية إلاّ لله الواحد القهار.

وبعد لحظة صمت أضاف:

- خذوه إلى حيث يستحق النحر إنَّه عدُو الله وعدونا.

سحبوني بقوة الأوغاد وكمَّموا فمي لئلا أصرخ أو أندد وأدين فعلتهم وحبسوني في غرفة تُزكم رائحتها الأنوف من شدة العفن الذي تبين أنه لأجساد متحللة احتفظ بها فضيلته.

بقيتُ هناك لأربعة ليال كاملة وقد تَمَّ التريث بنحري لأن عمليات التحرير بدأت للتوَّ وهو من حسن حظي، ولم يكد يدخل فجر اليوم الخامس على وجودي حتّى اقتادني شخصان وأنا مغمض العينين وسط شدة الإنفجارات وقد تبين لي بأنهم يأخذونني خارج المسجد بحكم طول مسافة المشي. أركبوني في سيارة لم أتبين نوعها لكّنني تحسست وجود ربما أربعة أو خمسة أشخاص أحدهم يتكلم بلكنة خليجية وربما كان سعودياً.

سارت بنا السيارة مسافة تقدر بنحو عشرين دقيقة ما بين سير مستقيم يتخلله بضعة انعطافات لم تمكنني من معرفة الطريق بدقة لكنني خمنتُ بأننا عبرنا المدينة إلى أطرافها. وكانت أصوات الإنفجارات والطائرات ما زالت تطاردنا.

وقفت السيارة وترجل الجميع منها فيما بقيتُ بمفردي داخلها ولا أعرف لماذا؟ أين أنا؟ ولماذا تركوني بمفردي هنا ورحلوا؟ لا أعرف.

لم يمرَّ وقت حتّى بدت سلسلة الإنفجارات تتوالي قربي والعديد من الأصوات التي تصرخ أخرج أيُّها الإرهابي وضع يديك فوق رأسك.

لقد صار واضحاً بأنني صرت طُعماً للقوات الأمنية عبر هذه الخطوة وأنا مكمم ومقيد ولا سبيل لي بالتفاهم مع أحد منهم.

لقد كانت تلك الدقيقة من حياتي توازي مقدار كلَّ الخوف الذي عشته مع سنوات الطاغية والقاعدة واحتمالية النحر على يد فضيلة الشيخ الحقود، لأنَّ السيارة كانت مفخخة كما سمعت.

في تلك اللحظة بالذات استعدت قصة ارنولد المتعلقة بغواط الحصان فقد كنت بأمس الحاجة لمنقذ لئلا أموت وأخلّف أيتاماً هم في حاجتي بمثل تلك السنّ، كنت بحاجة لمنقذ حتَّى وإن تغوّط فوق رأسي، ولكنّ المشيئة والقدر كانا لطيفين معي حين سخرتا بطلاً من أبطال الجيش لإنقاذي من موت محتوم دون الحاجة لتكرار فعل الحصان مع العصفور، وتلك الدقيقة من حياتي أعادت إلى ذاكرتي شريطها الذي عشته بغضون بضعة ثواني.

خرجت من الموت بجهد ذلك البطل وعرفت بأن فضيلة الشيخ معتقل الآن وهو مازال يُكفّر الجميع ويحّرض على قتلهم وينتظر اليوم الذي سيخرج فيه ليواصل حقده الأعمى على الحياة.

أرقام × أرقام

لا أتذكر أين قرأت ذات مرة مقولة مرعبة بقت في ذاكرتي كلَّ العقود الخمسة التي عشتها وهي (موت إنسان واحد حالة مأساوية وموت مليون إنسان رقم إحصائي). إن منطق الطغاة والقتلة لا يخرج عن هذه المقولة على مرّ التأريخ.

تخيلوا أن قرية صغيرة في هذا العالم الفسيح اسمها قرية خزنة تقع في مكان قصيّ من التأريخ، ولا تشكل خطراً أو نقطة تهديد لأيَّ أحد، وكم من الضحايا ما بين مفارق للحياة ومعاق أعطت. فبجردة أولية إذا ما بدأنا من عام ١٩٧٧ بالتزامن مع التعداد الذي ألغى تثبيت هوية القرية وصادرها إلى الأبد. وهذا القرار جوبه بشيء من التحدي للسلطات التي لم تتباطأ بالتحرك لاعتقال العشرات وتغيببهم في أكثر موت جماعي لنا بعد آخر نفي مشابه مارسه العثمانيون أثناء الحرب العالمية الأولى حين قتلوا من رجال ونساء وأطفال القرية زهاء ثلاثة وأربعين نَفَساً.

وتتوالى المصائب علينا ففي عمليات الأنفال أُتهمت القرية بأنها تساعد جيوب العصاة كما كانت تسميهم السلطات ليقوموا بتجريف أربعة عشر بستاناً كبيراً فضلاً عن تهديم خمسين بيتاً وترحيل تسعة وتسعين إنساناً إلى محافظة أخرى.

وكانت أحداث ٢٠٠٣م عنيفة معنا حيث كانت السيارات المفخخة تطارد أرواح الأبرياء بين حين وحين، ففي انفجار قرب الحسينية راح ضحيته مائتان وخمسون شهيداً بينما كانوا يؤدون صلاة عيد الفطر، وكان يوماً أسود بامتياز إذ اتشحت القرية بكاملها بالسواد، وكذلك في انفجار السوق الصغير الذي راح ضحيته ستة وخمسون شهيداً أغلبهم النساء والأطفال بعد انفجار الحسينية بأشهر.

وقد بدأنا ندرك بأن طبيعة الإهمال الحكومي لأمن القرية نابع من دوافع طائفية واضحة، ولكن أبشع التجارب التي مرَّت بها القرية كانت في عام ٢٠١٤م لحظة دخول داعش بعد خيانة القادة، والأكثر سوءاً من ذلك تعاون السكان المحليين معهم نكاية بالجيش والشرطة مرة ولولائهم مرة أخرى.

فقد مارس داعش أقسى أنواع القتل والتنكيل مع سكان القرية لا لشيء إلا لأنهم روافض بحسب تعبير الدواعش، الأمر الذي يجعلنا في خانة الكفار طبقاً لمعتقدهم التكفيري.

هنا وعند هذه اللحظة من تأريخ قرية خزنة يقف القلم عاجزاً عن التدوين لشدة الجرائم التي قام بها القتلة. ولو افترضت بلغة الأرقام مقدار حاجتي للحبر من أجل كتابة إجرامهم فلا أبالغ إذا ما قلت ربما كنت في حاجة لعشرات الكيلوغرامات منه ناهيك عن أطنان من الورق لأن لكلّ مواطن في هذه القرية قصة بحدَّ ذاته ومأساة لا ينتهي وجعها.

هنا عند اللحظة من تأريخ قرية خزنة يموت كلُّ شيء وتصبح البساتين صفراء ولون الليل أحمر ووجوه الناس غبراء شعثاء.

تخيّلوا معي مرة ثانية حجم الألم عندما يكون دليل الدواعش مَنْ عاش معنا وشاركناه الخبز والحبَّ، الفرح والحزن، الحياة والموت، تخيّلوا مقدار العجز الذي سيصيب اللسان عن الكلام، فجاري الطيب جداً، أبو أحمد أدخل عليّ حين كنت في إجارته داعشياً تركياً وآخر تونسياً من أجل مقايضة شرفي بما أمتلكه من مال، وكنت قد بعتُ قبل أسبوع بالضبط إحدى مزارعي الكائنة على أطراف قرية خزنة لعدم حاجتي إليها فضلاً عن مشكلة نقص المياه.

وكان جاري أبو أحمد هو مَنْ اشترى مني البستان بثمن راعيتُ فيه علاقتي به فضلاً عن الجوار لأتفاجأ بموقفه القذر حين ساومني مع القتلة بين استرداد المال أو التعامل مع عائلتي كسبايا!! فلم يكن أمامي إلا الخيار الأول وبلا أسف على مال بقدر أسفي على الخيانة، وهناك مَنْ كان يعطي للدواعش المال ليستحوذ على بيوت القرية وما فيها من أثاث ومواد ولم تبقِ في القرية إلاّ الخرائب ولم يخلّف الدواعش وأنصارهم إلاّ الدمار.

ولم ينتهي سيناريو أبي أحمد عند هذا المطاف بل تجاوزه إلى مساومات أكثر حين اتفقت معه على خروجي برفقة العائلة وعليه تأمين حياتي وكان لا بد لي من المرونة معه خوفاً على العائلة فذهبت معه إلى أعلى درجات التهادن والخضوع لطلباته.

وهكذا وبعد تعسف شديد في طلب المال خرجتُ هارباً إلى أربيل كوجهة أولى، والحمد لله أنني أمتلك المال الذي لا يمتلكه غيري ممّن ماتوا واقفين كأشجار القرية.

((كانت عملية النزوح إلى أربيل حيث المعاناة الكبيرة وآلاف العجلات الواقفة عند السيطرة الرئيسية التي تمنعهم من الدخول والعوائل كانت تستغيث وكانت أيام صعبة جداً على الأهالي فبعضهم تمكن من الهروب وبعضهم قتل وبعضهم أصبح في

قبضة عناصر داعش، لم أتواجد في محافظة أربيل كثيراً وإنما خرجت إلى المحافظات الجنوبية وتحديداً محافظة الديوانية (قضاء الشاميّة) حيث يعجز اللسان عن وصف هؤلاء الناس الخيرين أهل الكرم والطيب فكان الجميع يستقبلنا بقلبه قبل لسانه وكان الجميع في خدمتنا وتوفير كلَّ ما نحتاجه من وسائل الراحة ووسائل العيش الكريمة، ورحلتي للديوانية استمرت مدة ثلاثة سنوات وفيها اكتسبت أخوة أعزاء على القلب وإلى الآن أتواصل معهم في الهاتف أو في الزيارات ولن ننسى أفضالهم ومواقفهم المشرفة)).

طبعاً بعد العودة وجدنا القرية هباءً وكان الموت مصيراً عادلاً لأبي أحمد وكلَّ مَنْ تعاون من الدواعش وكان علينا أن نبدأ من جديد لإعادة الحياة وفكرت في مبادرة أخلاقية تتعلق بتوثيق جرائم داعش في متحف دائم يتصدر مدخل القرية ليبقى شاهد إثبات على كل الموت الذي حصل.

وبعد التفكير بعنوان دائم للمتحف قالت ابنتي زهراء اقتراحاً جميلاً:

- ليكن أرقام×أرقام
- ذلك اسم مقبول يا زهراء إذاً اتفقنا.

ولم أنسَ أن أكتب العبارة المارة الذكر على واجهة المتحف ((موت إنسان واحد حالة مأساوية وموت مليون إنسان رقم إحصائي)).

النسر الحديدي

مُذ كنت طفلاً وأنا مولع (بساسوكي) الذي يدافع عن الحقَّ دائما وكنت أضحك كثيراً على (جامبو) الجبار. ولقد ظلَّ هذا الولع متلازماً معي حتى بعد أن كبرت وصرت شاباً في آواخر المرحلة الإعدادية.

لقد كان طموحي أن أتطوّع في كلية الطيران لأصبح طياراً وهذا طموح أبي وأمّي أيضاً، وأنا أحاول أن أنجح بمعدل يسمح لي بذلك بالإضافة إلى الإعتناء بصحتي ولياقتي البدنية لأكون صالحاً للمهمة. لكن الوقائع تجري أحياناً بما لا تشتهي النفس فقد صرتُ مُقعداً على كرسي متحرك بسبب إطلاقة طائشة قطعت حبلي الشوكي.

قبل أربع سنوات حين كنت ألعب كرة القدم في نادي الولاء الرياضي مع بعض الأصدقاء حدثت هناك مشاجرة بين شخصين وتبادلا إطلاق النار في الملعب الصغير بينهما وفيما كنت أحاول الهروب جاءتني تلك الإطلاقة وحوّلت حياتي إلى جحيم. منذ ذلك اليوم وأنا أجلس بين أربعة جدران دون حركة كبيرة.

لقد بكت أمي على حالي فيما مثّل أبي الشجاعة أمامي وهو يهون عليّ المرض ولكنَّه كان يبكي بعيداً عني وكنت أعرف بذلك في داخل روحي.

ومع مرور الوقت صارتْ لعبتي الوحيدة مع الحياة التسلي ببعض الطائرات التي اشتراها أبي لي بعد أصابتي، كنت ألهو وحدي بتلك الطائرات بعيداً عن الحياة وفي عزلة رهيبة عنها، وكنت أحلم بأنني أصعد إلى داخل إحداهن وأناور العدوَّ وأضرب الهدف وأعود سالماً إلى القاعدة.

وكانت تلك أحلامي فقط دون أيَّ شيء آخر، ويوماً بعد يوم صار عدد الطائرات أكثر وأكثر وصرت أطير كلَّ يوم بطائرة مختلفة عن الأخرى حتَّى طرت سبعين طلعة جوية كلُّها ناجحة كلَّ أسبوع.

في مساء إحدى أيام حزيران وصل إلى سمعي من التلفاز بأن ثلثي البلد سقط بين براثن الإرهاب وأن الجيش انكسر بعد مؤامرة حيكت من الخارج مع تعاون البعض من الداخل. كان خبراً صادماً وحين طلبت من أمي أن تذهب بي إلى التلفاز شاهدت الخراب الذي لا يصدق.

بكيت كثيراً لأنني لم أستطع الدفاع عن الوطن ولقد ضاعت أحلامي لأكون طياراً من أجل الوطن، بكيت وغرقت في نهر الدموع طوال الليل.

مرَّت الأيام والليالي ببطء السلحفاة على حياتي وأنا صريع البكاء والألم من شدة ضياع الوطن ولعدم قدرتي علي الدفاع عنه، حتى جاءت المعجزة التي لا يصدقها عقل ولا يستطيع حلها العلم.

فبعد أسبوعين وبينما أنا نائم جاءني زائر جميل الطلعة بهي الوجه فارع الطول يحمل عصا من نور وفوق رأسه تطير نسور من حديد بلون الذهب، وقال لي: إنهض أيُّها الفتى أنت بخير.

لقد كنت خائفاً في البداية من ذلك الرجل لكنني شعرت بالراحة منه بعد أن لمس ظهري بالعصا وقال مرة أخرى: إنهض يا فتى فأنت بخير، وقد اختفى بعد أن وقفت على قدميّ غير مصدق لما يحدث.

ناديت على أبي وأمي وأنا أرتجف من شدَّة الخوف وحين جاءا إلي لم يصدقا وقوفي ومحاولة المشي الذي نجحت فيه وسط دموعي، ووقفت على ساقيّ بعد طول مكوث بين أربعة جدران وكان لزاماً عليّ القتال مع اخوتي ممّن التحق دفاعاً عن الوطن.

وإن هي إلاّ أيام قلائل حتى تطوّعت في كلية الطيران وبدأت أتدرب فيها على مبادئ القتال وكانت جهوزيتي قائمة للتضحية. وبعد معرفة ضابط الدورة السريعة بميولي الكبيرة في حب الطيران أبدى تجاهي مساعدة بالغة وخرق كلَّ البروتوكولات المتعلقة بالسلامة على مسؤوليته وقام بتدريبي لساعات طويلة ولم يستغرق طويلا حتى قرر إدخالي في الجانب العملي للطيران الحربي ذلك الجانب الذي أتقنته بزمن قياسي، ولله الحمد لم يمضِ وقت طويل على تخرجي بصفة مساعد طيران حين بدأت معارك التحرير ووجدت نفسي ملزماً بالعهد بأن أكون مضحياً.

الآن أنا أقود طائرة أف ١٦ بمفردي بعد إصابة قائدها بوعكة صحية اخرجته عن العمل مؤقتاً هذه لحظة الوفاء الأكبر لله وللوطن وقد تمَّ تكليفي بقصف أوكار

الدواعش في الساحل الأيمن طبقاً لإحداثيات دقيقة لا تقبل الخطأ إستنادا إلى تقنيات الطائرة والسلاح.

ومع كل إصابة أحققها في مرمى الهدف الإرهابي أزداد رفعة وسمواً أمام نفسي الأمر الذي دفع القادة بأن يسمونني بالنسر الحديدي، أجهزتُ على الكثير من الإرهابيين وانتصرت للوطن وكسبت محبة قادتي وذرفت الدموع الكبرى على حالي وأنا أجلس على عربة الدفع الرباعي أثناء تكريمي من قبل وفد العتبة الحسينية تقديراً لإيماني بالدفاع عن النور في قصصي التي أكتبها، أنا القاصُّ المعاق إلا من الكتابة أرسم للحياة البهجة من مقعدي المدولب.

-انتهت -

إشارة

للتاريخ منافذ كثيرة يعرفها أهل الاختصاص، ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا إن الأدب والفن من أقدم وأشهر منافذه، واذا كان التاريخ سجلا للوقائع والأحداث والتحولات الكبرى، فان الفن هو سجل حركة الروح في فضاء الواقع.

هذا العمل هو من ضمن سلسلة أعمال أدبية، كابدت أسوأ الفظاعات التي ارتكبتها زمر القاعدة وداعش في العراق، وعبرت عن أكثر لحظات التاريخ سوادا، لكي تروي لنا ما حدث هنا على أرض العراق، في مخاضاته العسيرة.

وقد عملت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة على توثيق أهم وأخطر مرحلة مرّت على العراق في تاريخه الحديث من خلال موسوعة وهي (موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق من العام ٢٠٠٣ ولغاية العام ٢٠١٧م) ، وجاء التوثيق من لدن لجنة عليا في العتبة المقدسة، على جنبتين، الاولى الجنبة العلمية المعتمدة على الاحصاءات والوثائق والشهادات، والجنبة الثانية هي الجنبة الأدبية التي استقى الأدباء في مجالات (الشعر، والقصة، والرواية، والمسرح) موضوعاتهم الابداعية لإنتاج نصوصهم الأدبية من الوقائع التاريخية التي وثقتها

الجنبة الاولى، وبهذا يكون عمل الجنبتين من لدن اللجنة عملا تكامليا ، يشد أحدهما عضد الاخر، وعلى الرغم من أن الاحداث التي رصدها الادباء المبدعون ممن أسهم في حركة التوثيق بجنبتها الادبية من هذه الموسوعة كانت في مجملها أحداث تاريخية واقعية، لكن الأدباء أجروا عليها بعض التعديلات الفنية التي تسهم في وضع المسوح الادبية على النصوص الابداعية، من أجل تحقيق الشعرية التي لا يمكن توافرها في الكتابات من دون اجراء الصياغات الابداعية في النصوص الادبية سواء أكانت سردية، أم شعرية، أم درامية، أم تشكيلية وسوى ذلك، لكنها جميعا تروي حكاية فينيق البلاد الذي ينبعث من رماده كل مرّة نافضا موته، هازئا بقاتليه . في الختام ، فإن توثيق الاحداث أدبيا لا يقل أهمية عن توثيقها علميا عبر الوثائق والاحصاءات والشهادات، بل قد تكون اكثر وقعا؛ لأنها تعتمد على الواقعة التاريخية من جهة، وعلى العاطفة الانسانية من جهة اخرى، أي انها تضغط على ذهنية المتلقي معرفيا وعاطفيا.

المحتويات

المحتويات

المقدمة..٧

سماء بيضاء.... قمر أحمر ١١

شارع الجثث...١٦

قمران في سماء تلعفر ٢٢

عمامة الخارجي..٢٦

للطفل حشدٌ يحميه...٣٠

عُش الدبابير ٣٤

ليحيا بك الوطن...٣٩

الحمامة والبارود...٤٢

الرياح ستمضي بنا...٤٥

صقر سهل نينوى ٥٠

درس في الحياة ٥٣

عالم بحجم الكف ٥٧

٢٠١٦/١١/٢٣ .... ٦٢

٢٠١٧/٦/١٩ .... ٦٣

من هنا طار الحمام ٦٤

مرثية لانكسار الضوء ٦٨

موت اضطراري ٧١

أنا أقتل لأتسلى ٧٦

ثلاث ساعات من الموت ٨٠

حفرة الرعب ٨٧

هروب جماعي ٩١

رأس المحارب ٩٨

ليلة الدم ١٠٤

يد من غضب ١١٠

حقد أعمى ١١٣

أرقام × أرقام ١١٩

النسر الحديدي.. ١٢٣

إشارة.. ١٢٧

المحتويات ١٢٩